I

النشأة والعوامل

١,١ السياقات الثقافية والرواية النسائية

تعد سميرة خاشقجي الروائية السعودية الأولى عندما كتبت ودعت آمالي بوصفها أول رواية لها نشرت في لبنان عام ١٩٦٠، وقد بدأت الكتابة تحت اسم مستعار هو (سميرة فتاة الجزيرة) و (سميرة بنت الجزيرة) واستقرت مع الأخير. ومنذ ذلك التأريخ، تصاعد مرحليا نتاج الروايات النسائية في أدب المملكة العربية السعودية، وخرجت ظاهرة ثقافية فريدة متنوعة في جوانب عدة، متضمنة الأساليب ومناقشة الهوية والثيمات. وكتابة الرواية عموما شهدت تطورا أسهم في ازدهار الحياة الأدبية بصورة واضحة منذ فترة الثمانينيات بشكل تصاعدي.

هذه الدراسة محاولة لإعطاء أهمية للروائيات السعوديات وعرضهن الروائي، ووضع بصمات لثقافتهن المستقلة، وعلى خلفية تطلعاتهن، ورغباتهن الإنسانية، وكيف عكسن ذلك في جنس الرواية، وحول ماذا كتبن؟ وما هي مواقفهن الخاصة في الكتابة؟ وكيف طورن أساليب مختلفة؟ وماذا أنجزن في هذا الجنس الأدبي؟ ومن الطبيعي بروز العديد من الأسئلة أثناء دراسة هذا الموضوع. وبما أن هناك فروقا واختلافات جديرة بالاهتمام بين مستويات جودة الروايات، فإن الدراسة تذهب إلى تسليط الضوء على أعمال عشر روائيات سعوديات يمثلن شريحة الدراسة، لأهميات مختلفة، ترجع لإسهاماتهن المتباينة الجديرة بالاهتمام المتعلقة بما قدمنه من إضافات

لرواية المرأة السعودية، والأدب السعودي، والعربي عامة. وتدلل رواياتهن جيدا على أن تلك الشريحة من الكاتبات هي الأكثر أهمية في الرواية النسائية السعودية، فضلا عن أن الدراسة ستعتمد إلى أعمال غيرهن وفق مقتضيات الدراسة. وتركز على الأصوات (voices) المتباينة للروائيات السعوديات المختلفات مستمدة العناية بتقنيات السرد المستخدمة في تناول الرواية. وتهدف الدراسة إلى تحديد دور التطور التأريخي، وتأثيره في المجتمع من خلال ارتباطه وصلته بالأعمال الروائية النسائية في مستوى التطور الثقافي للمجتمع، آخذين بالحسبان أن الروائيات كتبن بأسلوب استقلالي يرنو لإظهار الثقافة الخاصة، والميول والمواقف. ويمكن ملاحظة تصنيفات متباينة في أعمال الروائيات فيما يتصل بالثيمات والأساليب، وتعدد الأصوات الذي قد يهيمن على النص الواحد بأكمله فنيا وثيميا، ومنها على سبيل المثال، روايات سميرة خاشقجي، حيث تعتمد على الأسلوب الرومانسي، واللغة الرومانسية، وفي الوقت نفسه تسلط الضوء على الحياة الاجتماعية للمرأة عموما، ونلاحظ أن أمل شطا تركز بصورة أكبر على المجتمع السعودي، وما يتعلق بالمرأة والأسرة فيه.

قد تعكس الروايات أيديولوجيات مختلفة، مثل وجهة النظر المحافظة أو الليبرالية، وهذا الاستشراف من المراقبة ظهر من خلال التطور في المجتمع السعودي، والروايات النسائية السعودية تعكس ظاهرة خاصة عززت فكرة هذه الدراسة في أن تبلور الرواية النسائية في صورة مستقلة. ومعظم الدراسات التي نشرت وناقشت الرواية السعودية وخصوصا ما كتبته المرأة ظهرت عموما عاكسة صدى صوت النقاد الرجال الذين أهملوا بدورهم، وبطريقة تستدعي الحزن، الروايات النسائية. ولم يتناولوا ما كتبته المرأة بعمق أو أنهم لم يتفهموا قيمة ثيماته. وقد يكون هذا لأن مناقشة أعمال المرأة تمت بوصفها جزءا من الرواية السعودية عموما متضمنة روايات الرجال التي تمثل الإنتاج

الأكثر. وإدراك الخصوصية (*individuality*) والاعتراف بها مطلب لمناقشة مثل هذه الأعمال مع إدراك المؤثرات وراء ذلك من المنظور النقدي الذي يتولد من رؤية نقدية نسائية (*gynocritics*). وهنا يبرز مبدأ السبب الرئيس للشروع في تنفيذ هذه الدراسة من خلال توظيف التحليل النقدي المتضمن لمفهوم حركة النشاط في حقوق المرأة الذي يعرف بالنسائية (*feminism theory*)، والبدء في مناقشة الرواية النسائية السعودية بوصفها مستقلة، كي تظهر مكانتها الاجتماعية والثقافية واللسانية. وسوف تكون الروايات المصدر الرئيس الذي نتناوله لمتابعة موضوعنا، وخلفية الأصوات النسائية في جميع جوانب النصوص التي من خلالها يتم طرح العديد من التساؤلات والقضايا المختلفة.

ومنهجية الدراسة فيما يتعلق بالثيمات والتقنيات معتمدة على رصد الظواهر الرئيسة طبقا للقضايا والتقنيات، وكيف تطورت رؤى ورغبات الكاتبات إلى حد بعيد من خلال التعبير، وما القضايا التي اهتممن بها. واختارت الدراسة جنس الرواية عن غيرها من الأجناس والسرديات؛ لأنها تعد الأكثر تعبيرا عن المرأة في انعكاس الأصوات والأساليب، يضاف إلى ذلك أن صوت المرأة يظهر متميزا من خلال الحكي الطويل المتوفر في الرواية، وهذا ما أقرته النظريات النسائية في دراساتها خاصة النقد النسائي منها.

وقد يتبادر إلى الذهن أن الحكي القصصي يبدو قريبا للمرأة تمشيا مع سيكولوجيتها ربما لوضعها الاجتماعي. فالأم عادة ما تضطلع بدورها في حكي القصص والروايات للطفل أكثر من الأب، كما أن المرأة عموما أكثر قدرة من الرجل في التعامل مع الأطفال الذين يحتاجون لمزيد من الصبر وإظهار الرغبة في الحكي و قراءة الكثير من القصص لهم. ويفترض أن ندرك أن المرأة من الناحية التعليمية أكثر

تفوقا ونجاحا من الرجل عندما تتقلد عملا في مراحل التعليم الأولى مثل مجال رياض الأطفال، ومعروف أن (شهر زاد) تعد الراوية الأكثر شهرة وصيتا في مجال الحكي القصصي في الأدب العربي والعالمي من جنس النساء، وقد دأبت بصوتها تواتر الإخبار عن تلك القصص والحكايات لأكثر من ألف عام. وهذه الفكرة الفرضية لا تشير إلى أن السيدات حاكيات جيدات، بل على القدرة الوظيفية التعبيرية، والمرأة عادة لا تكون أكثر حظا من الرجل في إيجاد عمل، ما ينتج عنه توفر الفراغ وقضاء الأوقات التي يكون الحكي أفضل وسيلة لقتل الزمن به، وقد يكون للمرأة القدرة على الحكي القصصي، وليس الكتابة للظروف الاجتماعية عكس الرجل الذي يتوفر له الوقت والقدرة على الكتابة.

تركز الدراسات الثقافية الحديثة خاصة النظرية النسائية والاجتماعية بفروعها على دراسة الرواية خاصة؛ لأنها تظهر انعكاسات الإجابات للمتغيرات الاجتماعية التي تنبثق تجاوبا مع المواقف الاجتماعية المتغيرة ومتطلبات الطبقة الناشئة،[1] وغالبية النقد الهادف للمساواة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا بين الجنسين يولي اهتماما كبيرا بالرواية، فضلا عن أي جنس آخر من الأجناس الأدبية، ذلك أن القيمة المكتسبة التي حققتها الرواية، بصفتها خطابا أدبيا حديثا أكثر طرحا قرائيا للصفحات الإنسانية، من خلال السرد والشخصيات. وقد ركزت النظرية الماركسية كفلسفة مادية تهتم بالتغيير الاجتماعي على الرواية بصورة كبيرة من أي جنس آخر من الأجناس الأدبية بسبب تجاوب الرواية ذاتها مع المواقف الاجتماعية المتغيرة، والرد على متطلبات واحتياجات الطبقة الصاعدة؛ كالبرجوازية في المذهب الرأسمالي التي حلت محل الطبقة الإقطاعية.[2]

وتعد الرواية جنسا أدبيا يعتلي غيره من الأجناس في الفكر المعاصر،[3] وهذا الأمر يعود إلى طبيعة حركة الأجناس الأدبية، وهي أكثر الأجناس محاكاة للواقع بصوره،

وتظهر الرواية على أنها ظاهرة أدبية ثقافية أكثر أهمية في العالم برغم كونها متأخرة في الحضور بين الأجناس الأدبية للأعمال الفنية السعودية. ويرتبط بزوغ الرواية ونشأتها في المجتمع السعودي بالتطور الحادث في المجتمع، وهذا هو وقع هذا الجنس الذي مر بذات المراحل في الأدب الأوربي خلال أزمته وعصور الإحياء والنهضة الأوربية، والحركة العصرية، فهناك نشأت الرواية بوصفها قالب بناء ريادي في الخطاب الأدبي منذ القرن السابع عشر حتى الآن، وشاركت في نهضة المجتمع في الصراع ضد الكنيسة كنص قيادي بديل عن القصص الديني، وفي سياق تلك المرحلة يعبر هاوثورن (*Hawthorn*) عن كيفية تطور الرواية بقوله:

> إن العلمانية أمر حاسم في تطور الرواية، ولا يعني هذا أن الرواية لا تتضمن الثيمات الدينية، أو تعزز بشواهد دينية ملحة لا سبيل لتجاهلها. وهذا لا يعني أن الرواية الحديثة نشأت في عالم يجد فيه الناس أنفسهم بدرجة أكثر احتمالا باحثين عن تفسيرات غير خارقة أو فوق العادة لمشكلاتهم التي يواجهونها، وتلك حالة نفسية عقلية تظهر بالرواية. حتى أنه عندما يرغب الروائي في وضع أهداف دينية، فإنه سواء كان رجلا أو امرأة يغفل ذلك من منطلق دور الجنس الأدبي بوضعه في سياق التفسيرات غير الدينية[٤]

وقد يعد السرد الأدبي أقرب إلى نشاط عقل وفكر القراء/ت المعاصرين أكثر من قربه للمشاعر عكس الشعر الذي يبدو كأنه أقرب للعواطف الإنسانية. ومن الملاحظ

اليوم أن الشعر في العالم العربي أوشك أن يفقد أهميته كظاهرة ثقافية أدبية فكرية مع حضوره الشعبي، وأصبح في الفكر والثقافة العربية المعاصرة المدنية كأنه قالب أو شكل من الخطاب غير الناجح نسبيا بعد وضع الرواية كجنس مهم من الأجناس الأدبية والخطاب الثقافي. لقد صعد السرد القصصي مع التطور الحداثي والمدني، وأصبحت السردية القصصية شائعة إلى حد ما في الثقافة العربية نتيجة التطورات الثقافية المتتالية منذ نهاية القرن التاسع عشر. وقد عد زكي مبارك النثر القصصي جنسا من أكثر الأشكال صدقا وأصالة للحياة المدنية في أوربة والشرق، ويعتقد أن النثر القصصي أداة طبيعية للدلالة وإظهار كل من الحقوق والأفكار التي لا يتمكن الشعر من وصفها بطريقة أفضل.[٥]

لقد أصبحت القصة القصيرة جنسا منتشرا خلال فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين في المملكة العربية السعودية إلا أنها لم تعكس التيار الفكري ذا الصلة مثلما يحدث مع الرواية. وفنيا تتمحور القصة القصيرة على موضوع واحد، وفي الشخصيات على شخصية واحدة أو شخصيتين، ولا تمتلك القصة القصيرة مميزات الرواية في التركيز على القيمة بصورة مكبرة، ولا على القضايا والشخصيات كما في الرواية. والأخيرة بوصفها سردا أدبيا طويلا تتمكن من الاستفادة من تقنيات متعددة، ومهارات لا تتوفر في طبيعة القصة القصيرة التي تعد من الناحية النقدية نوعا من المرحلية لظهور الرواية ودربتها. ويعد النثر القصصي الطويل أكثر إشراقا من الناحية الأدبية، وهو ما تحمله الرواية، وما يضفي الاستقلالية في الأدب المعاصر لما تحويه من غزارة في الشعرية السردية.

أما المسرح فلم تكن له الأهمية مثل غيره من الأجناس الأدبية السردية في المملكة العربية السعودية لعدة أسباب أهمها عدم شيوعه، وعدم الاهتمام به أكاديميا وتعليميا،

وينظر إلى المسرح على أنه نوع من التسلية العبثية أكثر من كونه فنا يدعم المسيرة الفكرية والاجتماعية، وبالنسبة للمرأة فإنه ليس مقدورها المشاركة فيه، وحتى الآن لا يسمح للمرأة الظهور على المسرح السعودي. فضلا عن ذلك فإن للمسرح لوازم تتجاوز الدراما الكتابية، فهو محتاج إلى عرض وممثلين/ت ومكان خاص، وكل هذه لوازم يضعف حضورها في الثقافة السعودية الحالية لعوامل كثيرة منها حداثة المجتمع الذي هو في طور التحديث، وبسط الفكر التقليدي عليه ثقافيا. وفنيا فإن المسرح فن أرستقراطي أكثر من أي فن آخر، لا تعد كتابة نصوصه سوى مرحلة من مراحله.

وتحتاج الرواية إلى سعة في الخيال ما يسمح للكاتب/ ة أن يزيد من مخيلته وأفكاره في وضع الأحداث. وقد أصبحت الرواية واحدة من أهم الظواهر أهمية خلال الثمانينيات من القرن العشرين في السعودية، واتسع انتشارها تصاعديا مع التسعينيات، لذلك نجد أن الكثير من الشعراء وكتاب/ت القصة القصيرة مالوا إلى الرواية أمثال غازي القصيبي وتركي الحمد وقماشة العليان وغيرهم، وتحولوا إلى كتابة الرواية، فضلا عن النقاد الذين كانوا يهتمون بالشعر تحولوا إلى محاولة الكتابة والتعرض للرواية. وهكذا، فإن الرواية مثل غيرها من الأجناس الأدبية تحتاج إلى وقت للتطور داخل مجتمع ما، وبناء على ذلك فلا يمكن أن تتطور من خلال المجتمع بدون المعرفة، والخبرة، والفهم، والوعي الجيد بهذا الجنس الأدبي آخذين في الذهن الحركات الثقافية والتباين في تطور هذه الأعمال والأجناس المختلفة، والمراحل التي يحتاجها جنس الرواية ليتطور بصورة طبيعية. وعندما فاز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨، أدى ذلك إلى بث حراك في نزعة الأدب العربي ويقظة في نفس الوقت، فأثر في تحوله من الشعر والقصة القصيرة إلى الرواية، وانعكس ذلك على العديد من الجنسين الذين تحولوا إلى الرواية في العالم العربي واهتموا بها.

وهكذا، فإننا بحاجة لدراسة الرواية التي كتبتها المرأة السعودية، وهذا ما قاد المؤلف ليختار هذا الموضوع؛ لأن كتابة هذه الدراسة من خلال اختيار روايات المرأة سوف يشجع ويدعو للتفاؤل لمناقشة النقد الغامض حول الأدب النسائي السعودي، ثم العمل على إظهار المستوى ذات الصلة بالأصوات، والوسائل الفنية المستخدمة والقضايا الناشئة. وكل هذه العوامل سوف يتم مناقشتها بصورة نقدية، وثقافية وفقا لخصوصية فردية المؤلفات، ومؤثرات البيئة، وهذا أمر يفترض أن يحظى بأهمية خاصة إذا عرفنا أن غياب الأعمال الأكاديمية التي تناقش هذا الموضوع سواء من الناحية الموضوعية أو المعرفية ليس لها حضور يذكر.

١,٢,١ إعادة التفكير: النظرية والنقد

هناك دائما علاقة بين الأعمال الأدبية والنقد الأدبي، والنقد يناقش بمناهجه النصوص ويحللها ويساعد على فهم ظواهرها النصية والإنسانية بشكل علمي، وينقلها من المعرفة والخبرة الفردية إلى المفاهيم الجماعية. والمناهج النقدية هي التي تعكس أنموذج النقد الأدبي المناسب لعيناته، وتساعد الناقد/ة حينئذ على فهم النص واستيعابه، كي يوجه نحو منهج ما. لقد تطورت الرواية في الغرب، وصاحب ذلك تشكيل تنظيمي وتدريجي لنظريات عديدة أفرزتها المدارس النقدية، وتأثرت الثقافة العربية في وقت مبكر من القرن الماضي بهذا الجنس ونقده في أزمنة وأمكنة متباينة.

والرواية جنس أدبي حديث على الثقافة العربية، ليس له خبرة الشعر الثقافية، وهناك وجهات نظر مختلفة فيما يختص بالأعمال الروائية الأولى في الأدب العربي، وفي هذا السياق يشير صبري حافظ بأن أول رواية مصرية ظهرت في عام ١٨٦٧.[٦] بينما

الناقدة النسائية بثينة شعبان تقرر بأن أول رواية فنية عربية كتبتها امرأة، وهي زينب فواز (١٨٤٦-١٩١٤)، في لبنان ونشرت عام ١٨٩٩، بعنوان حُسن العواقب أو غادة الزهراء.[٧] وشعبان لاتوافق على أن تكون رواية زينب التي كتبها محمد حسين هيكل عام ١٩١٤ أول رواية فنية كُتبت بالعربية، بل إن حسن العواقب تسبق ذلك. أما جابر عصفور، فقد اختار رواية غابة الحق على أنها الرواية الأولى التي كُتبت ونُشرت في حلب للكاتب فرانسيس مراش عام ١٨٦٥،[٨] وعد رواية صائبة التي كتبتها أليس بطرس البستاني ونُشرت عام ١٨٩١ بأنها أول رواية نسائية، عقبت برواية حسنات الحب للبيبة هاشم المطبوعة عام ١٨٩٨، وهو العام الذي سبق رواية زينب فواز حُسن العواقب.[٩]

منذ زمن بعيد، وجنس الرواية يمثل عملا أدبيا غير مهم عند العرب الذين آثروا جنس الشعر وتأثروا به منذ فترة ما قبل الإسلام، وأشغلهم رواية وحفظا ونقدا، وذلك لعوامل كثيرة منها أهميته اللغوية والتأويلية للقرآن الكريم والاستدلال، فضلا عن ارتباطه بالثقافة العربية والأخذ بأن الشعر فن بدائي ليس كالنثر الفني فالأول لا يحتاج إلى لوازم الكتابة مثلا. والشعر بموسيقاه قريب من النص القرآني النثري، وفيه إيقاعات موسيقية من الأوزان العروضية والتفعيلية، وقد اشتغل به الكثير من اللسانيين العرب والمسلمين، فقاموا بتحليل آياته، وتفصيله لغويا وإعرابيا، فضلا عن دراسة الجوانب الفلسفية فيه من أجل فهم نصوصه ومعجزاته. وكان لذلك التوجه إسهام رئيس في النقد الأدبي العربي القديم، والاعتماد على الشعر لأجل القرآن وامتد ذلك في الشعر بوصفه الجنس الأدبي الأول والأبرز إلى العصر الحديث، والنهضة العربية.

لقد أمضى العرب منذ زمنهم الأول أوقاتهم منشغلين ومهتمين بالشعر، ولكن ذلك لا يعني فقدان القصص أو الحكايات الشفهية والفلكلورية، ومن بين ذلك الكثير

من الحكايات الأكثر شعبية بين الكتب العربية التراثية ومنها ما ذكر في ثناياها. وقد أخذت هذه الحكايات والقصص بغرض التسلية، وكُتبت بأساليب مباشرة تميل إلى الإسراف والإسهاب في إلقاء المواعظ على الغير، وهذا المنهج لا يزال يؤثر على الكثير من الروايات العربية. كما تعد الخرافات، والمقامات والسير القصصية الأكثر انتشارا في النثر الأدبي العربي القديم.[١٠] وهناك مجموعة من القصص النثرية التي كتبها العرب في أزمنة مختلفة، والكثير منها يعد ضمن الأدب الشعبي والسير الحافلة بالأساطير والفلسفة، على سبيل المثال رسالة الغفران لأبي علاء المعري، والتوابع والزوابع التي كتبها الأندلسي ابن شهيد، وابن الطفيل في حي بني يقظان، فضلا عن قصص فلكلورية طويلة عديدة مثل سيرة سيف بن ذي يزن، وسيرة عنترة بن أبي شداد والأميرة ذات الهمة وغيرها.

ويبرر جبرا إبراهيم جبرا في (زمن الرواية) عام ١٩٩٣، صعود وازدهار الفن الروائي في الثقافة العربية الحديثة بأن المجتمعات العربية لم تتغير خلال مراحل تأريخها الطويل كما تغيرت على مدى الخمسين عاما الأخيرة، لقد أظهرت الرواية نشاطا ملحوظا حتى أصبحت الاتجاه السائد للكتابة العربية، وهي المكانة التي كان الشعر قد تبوأها على مدى أزمنة بعيدة.[١١]

والمملكة العربية السعودية، واحدة من البلدان العربية التي تحولت حديثا من كتابة الشعر إلى الرواية كفكرة لتداول الظواهر الأدبية في حركة التطور الثقافي نتيجة لحدوث انعكاسات في تغير المواقف نحو الخطاب الأدبي والنقدي، ومجاراته للمتغيرات، وقد تحرك هذا الإجراء بالمملكة في مجال الإبداع فترة الثمانينيات، والتسعينيات، من القرن العشرين، حين ظهر الشعر التجريبي أو ما أطلق عليه بالحداثي وبدا كأنه غير مفيد أو قليل الفائدة، وغموضه زاده بعدا عن الرأي العام، وقد أدى ذلك لحدوث انهيار

وتصدع في مصداقيته بين الناس وقلة جمهوره. ومثل هذا الشعر ليس له قيمة شعرية إذا كان القارئ/ة غير معتبر في النص[١٢]، ولا يقدم حينئذ مساحة من الحرية للعامة أو المتخصصين، ولكن الخطاب الأيديولوجي والفكري يمكن العثور عليه في خطاب الرواية بصورة أوضح وأكثر مشاركة، ما هيأ صعودها على السطح لتوفر ظروف مختلفة ساعدت على خروجها، كما أشار إلى نظرية تحرك وضع الرواية رالف فوكس (*Ralph Fox*)بأنها:

> تتعامل مع الخصوصية، وهي ملحمة الصراع معها ضد المجتمع والطبيعة البيئية، وبإمكانها أن تتطور داخل مجتمع ما، عندما يُفقد التوازن بين الإنسان والمجتمع، حيث ضياع التوازن بين الإنسان والمجتمع، ويكون الإنسان في حرب مع أتباعه أو مع الطبيعة، مثل هذا المجتمع يكون مجتمعا رأسماليا[١٣]

ويدلل تطور الرواية في الأدب السعودي على ضرب من النضال بين المجتمع والأفراد لظهور الحياة بصورة أكثر تعقيدا مع التطور المدني المستمر. وتطور أي جنس أدبي في المجتمع يظهر من خلال مرحلتين؛ الأولى: التطور طبقا للمؤلف/ة بصورة مستقلة من خلال الأعمال الخاصة، والثانية: التطور داخل المجتمع بصفة عامة، أي تطور مسيرة الجنس الفني داخل الفكر الأدبي الاجتماعي من خلال الأنساق المؤثرة، وهذا يتمثل في محوري؛ الإبداع والنقد. وعموما فإن أي جنس أدبي يخضع لمؤثرات اجتماعية تظهر عليه، ولا يزال المجتمع السعودي بحاجة أوسع للفهم والمعرفة العميقة

بنظرية الرواية التي تحتاج لمرحليات طويلة يتطور فيها مفهوم الإبداع والنقد الروائي، وهذا ما يعكسه نقدها وفنية كتابتها بشكل عام. وليس للفن القصصي في الأدب السعودي جذور سليمة تجعله يرقى فيها بصورة سليمة حتى في مجال التعليم، ومن الغريب أن نجد في التعليم السعودي اهتماما محدودا بشأن الرواية كجنس أدبي حتى على مستوى الجامعات. وهذا القصور عمل على زواله تدريجيا، بعد ثورة الرواية بعد حرب الخليج الثانية ١٩٩١، ولكن المطلب في توجيه الفن الروائي، لا يزال يحتاج إلى وعي أكثر حتى في مجال نقد الرواية مع حضور بعض تطور لجهود خاصة بالرواية في ولكن يغلب عليها المفهوم الانطباعي. ومن الغريب أن نلحظ أن الكتب الأدبية المدرسية في مدارس تعليم البنات لا تعترف بالنصوص النسائية لتكون أنموذج تعريف وتطبيق بصورة واضحة، بل نجد الفتاة السعودية تتلقى المعلومات لمؤلفات بعض الكتاب من الرجال فقط، وهذا يشير بقوة، إلى مشكلة تربوية وعلمية واجتماعية تؤصل دون شعور للنظام الذكوري في الوقت نفسه.

لقد تطورت الرواية في الأدب السعودي مرحليا على نحو متباعد من حيث الأسلوب الفني والطريقة، وذلك بتأثير من الترجمة والتقليد والمحاكاة. وكما ذكرنا فإن القصة القصيرة كانت تحظى باهتمام كبير في الأدب السعودي عن الرواية حتى مطلع الثمانينيات من القرن العشرين، ومن ثم فإن النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية لم يهتم بالرواية أو حتى يسلط الضوء عليها، باستثناء قليل من الدراسات ظهرت تدريجيا خاصة خلال حقبة الثمانينيات، والسبب في ذلك قلة الإنتاج وعدم التوجه لهذا الفن، وندرة النقاد والأكاديميين الذين يميلون لفن الرواية. ولم يلق النقاد الضوء على الرواية السعودية على أنها من الأعمال المهمة أو المثيرة حتى وقت قريب. وعلى نحو واضح، فإن غالبية النقاد لهم اهتمامات كبيرة في الشعر أكثر من الميل للرواية، وهناك

بعض أعمال نقدية انطباعية لا تساعد أو تشجع على تطور الفن الروائي. ومع أن مسيرة الأدب السعودي لم تهتم بالرواية إلا أن هناك عددا من الدراسات التي عالجت الرواية السعودية مرحليا من زوايا وطرق مختلفة، وهذه الدراسات عالجت معظم الروايات النسائية بوجهة النظر الخاصة بالرجال، وغلبت الصبغة الذكورية على النقد، كما نلاحظ أن معظمها ركز على الشكل دون الاعتداد بالخطاب النسائي (*women's discourse*) المتواري فيه، والثيمات، وقضايا المرأة وتوظيف مفاهيم النظرية النسائية.

وربما يعد كتاب الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية،[١٤] للناقد السوري بكري شيخ أمين الذي نشر عام ١٩٧٢، العمل النقدي الأول الذي أشار إلى الرواية النسائية السعودية. والكتاب دراسة تأريخية عامة للأدب في المملكة العربية السعودية، وعلى رغم ما به من ملاحظات إلا أنه يمكن التغاضي عن ذلك؛ لأنه يعد العمل المهم الأول حول الموضوع. أما النقطة الثانية الرئيسة التي تحتاج إلى تنبيه هي أن المؤلف يعد الباحث الأول الذي تحدث عن الكاتبات السعوديات بصفة علمية، ويشكر ويثمن له ذلك، فأشار إلى سميرة بنت الجزيرة على أنها واحدة من المؤلفات اللاتي كتبن القصة الطويلة كما أطلق عليها. وقد تعرض أمين إلى رواية ذكريات دامعة ناقدا الكاتبة التي أطلقت على نفسها (بنت الجزيرة) ، بأنها لا تتضمن في روايتها شيئا يرتبط بالمملكة العربية السعودية بالنسبة للشخصيات والأمكنة والأحداث وغير ذلك، وانتقد الكاتب الأخطاء الإعرابية اللغوية والأخطاء الإملائية.[١٥] وكان الناقد محقا حينما ذكر أن سميرة هي الروائية النسائية الأولى في المملكة العربية السعودية، إلا أنه كان لزاما أن يتساءل لماذا غالبية الشخصيات وليس جميعها، وكذلك الأماكن في روايتها قد لا تتصل بالسعودية؟ والجواب على هذا هو ما يحتاج إلى دراسة ونتناوله في الفصل الثاني. وبينما يتعامل أمين مع أنواع عديدة من الأجناس الأدبية في كتابه، إلا أنه لم يذكر أي

كاتبات أخريات في مجال الشعر أو القصة القصيرة، وكان العديد منهن آنذاك يمارسن الكتابة وقت دراسته. وقد ظهرت أول مجموعة شعرية بعنوان الأوزان الباكية ونشرتها ثريا قابل عام ١٩٦٣.[١٦] وتعد في عام ١٩٦٩، سميرة بنت الجزيرة ثاني سيدة قامت بنشر مجموعتها للقصة القصيرة وتمضي الأيام، وذلك بعد أن نشرت نجاة الخياط مجموعتها القصصية مخاض الصمت، عام ١٩٦٦.

عمر الساسي أول أستاذ سعودي يقوم بتدريس الأدب السعودي كمقرر جامعي في جامعة الملك عبدالعزيز عام ١٩٧٢. في الموجز في الأدب العربي السعودي، الذي نُشر عام ١٩٨٦، خصص في كتابه ثلاث صفحات فقط للحديث عن الأعمال الأدبية النسائية من بين مجموع صفحات الكتاب البالغ ثلاثمئة وستة وتسعين صفحة، والكتاب عبارة عن مؤلف مختصر حول التأريخ الأدبي والسيرة الذاتية، والكثير من النصوص الأدبية، ولم يذكر الساسي أي روائيات لكاتبات في الطبعة الأولى من كتابه عام ١٩٨٦، لكنه في الطبعة الثانية ذكر أمل شطا التي نشرت رواياتها بعد صدور الطبعة الأولى من كتابه، وبرغم ذلك فهو لم يذكر الروايات الأولى التي كتبتها سميرة خاشقجي أو هند باغفار أو هدى الرشيد، ولكنه عالج الأعمال النسائية على وجه العموم بوصفها غير عميقة. يضاف إلى ذلك، فقد لاحظ الساسي مرورا بتلك الأعمال أن العديد من الكاتبات قد مارسن كتابة الأعمال الأدبية المختلفة منذ منتصف الخمسينيات، ولكن ليس هناك معلومات على الإطلاق بخصوص أي منها، وذكر بعضا من الشاعرات السعوديات مثل، ثريا قابل.[١٧]

أما الناقد السعودي منصور الحازمي فيعد واحدا من أهم النقاد السعوديين المهتمين بالأدب السعودي والقصة فيه، وقد ألقى الضوء من خلال كتابه فن القصة في الأدب السعودي الحديث،[١٨] على الأعمال القصصية بشكل تأريخي في المملكة العربية

السعودية، وذكر لنا أعمالا لبعضهن تحت تصنيف مصطلح (المغامرات) دون أن يحدد تعريفا لهذا المصطلح، وعد معظم الروايات السعودية ضمن هذا التصنيف، أي وقت كتابة الكتاب الخاص به، وأشار إلى روايتي سميرة بنت الجزيرة ودعت آمالي ورواية وراء الضباب، على أنهما ضمن هذا التصنيف. وقد علق على نقد الدكتور أمين فيما يختص بمكان وبيئة روايات سميرة بنت الجزيرة في مثل رواية ودعت آمالي على أنه لم يكن لها مكان أو بيئة، والسبب في ذلك إلى أن هذا النوع من الروايات لا تحفل بالمكان، كما أن الإثارة تأتي من خلال العاطفة.[١٩] وعزا الحازمي الأسباب التي دعت سميرة بنت الجزيرة وغيرها من الروائيات اللاتي اعتدن الكتابة بهذا الأسلوب، إلى أنهن لا يولين اهتماما سواء بالمكان أو الشخصيات بسبب الأسلوب، وقد أشار إلى روائية سعودية نشرت مخطوطة ضمن تصنيف رواية المغامرة ولم يذكر عنها أي معلومة، وربما لا تكون معروفة.[٢٠]

ولم يعلق الحازمي على أن سميرة خاشقجي الكاتبة النسائية السعودية الأولى التي كتبت ونشرت روايات وقصص قصيرة ومسرحيات، وأنها الكاتبة الثانية للقصة القصيرة. وربما ذلك لعدم اهتمامه بالنظر في كتابة المرأة كجزء مستقل، وهذا شائع بصورة واضحة في الأدب السعودي، وبين الأكاديميين في المراحل المتقدمة، وبين الكثير من المعاصرين، وبرغم أن كتابه قد نشر عام ١٩٨١، إلا أنه ذكر مثالا واحدا لكاتبة كتبت القصة القصيرة هي نجاة خياط، وفي طبعة كتابه الثانية، أضاف الحازمي ثلاث كاتبات أُخر نشرن أعمالهن بعد إصدار طبعته الأولى، ربما لأنه اكتفى بطرح نماذج فقط ولم يحفل بالحصر.[٢١] وأشار الحازمي منذ صدور الطبعة الأولى إلى أن الكاتبات السعوديات قد ناقشن قضايا مهمة في الرواية السعودية المعاصرة.[٢٢]

في عام ١٩٨١، نشر الناقد السعودي إبراهيم الفوزان الذي يعد من الأكاديميين

الأوائل المهتمين بالأدب السعودي كتابه أدب الحجاز بين التقليد والتجديد. وأصل الكتاب أطروحة دكتوراة من جامعة الأزهر عام ١٩٧٧. وهو دراسة تأريخية عامة حول الأدب السعودي في الحجاز، وهي المنطقة التي يُنظر إليها بعين الاهتمام والتقدير الشديدين فيما يتصل بالأدب السعودي والثقافة السعودية لما لها من دور تقدمي في ذلك بحكم تمدنها وتحضرها عن غيرها من المناطق. وقد نوه الفوزان إلى أن أدب المملكة العربية السعودية تأثر بالثقافات الأخرى مثل المصرية واللبنانية. والكتاب مفيد للأدب السعودي في مراحله الأولى نظرا لغزارة المعلومات وزخمها، وهو واحد من أكثر الكتب المرتبطة بالأدب الحجازي المبكر أهمية، ولكنه يقدم معلومات محدودة جدا وقليلة حول ظاهرة الكاتبات السعوديات. ويرجع السبب ربما إلى أنه صدر مبكرا، وفي الفصل الثاني من الجزء الثالث من الكتاب ضمن المؤلف مجموعة من الكاتبات المشهورات، وذكر سميرة خاشقجي وثريا قابل ونجاة خياط. وعد الفوزان سميرة خاشقجي رائدة الأدب النسائي في الحجاز، وذكر أنها نشرت سبع روايات، والواقع أنها نشرت ست روايات، ربما لأنه عد وتمضي الأيام رواية، وهي في الواقع مجموعة قصصية، وأشاد بسميرة خاشقجي وأسلوبها.[٢٣]

في فبراير من عام ١٩٨١، نشر نسيم الصمدي بحثه (دراسة في أدب المرأة السعودية القصصي) وقد وذكرها العوين في كتابه، وتعد من الأعمال النقدية الأولى التي ناقشت قصصا قصيرة، وروايات لكاتبات سعوديات، وقد تكون الدراسة النقدية الأولى على المستوى الفردي في ذلك. وقد أشار المؤلف في بداية أعماله إلى نحو تجاهل النقاد للأعمال النسائية السعودية، وناقش كاتبات القصة القصيرة، وذكر منهن على سبيل المثال نجاة خياط على أنها الأكثر شهرة في هذا. وقد أظهر الصمدي أن أول الكاتبات السعوديات على نحو جوهري هي سميرة بنت الجزيرة. وقام مثل غيره على نقد

أعمالها سلبا؛ لأنها لا تتناول بوضوح ثيمات مؤثرة في حياة المرأة السعودية، وسوف نتناول هذه الجزئية بتفصيل في الفصل الثاني. وناقش الصمدي أربع روايات أخرى هي البراءة المفقودة لهند باغفار، وغدا سيكون الخميس لهدى الرشيد وبسمة من بحيرة الدموع لعائشة أحمد وغدا أنسى لأمل شطا. وبهذا قام الصمدي بتمهيد الطريق من أجل تقدير وتثمين فكرة الدراسة المستقلة للكاتبات السعوديات،[٢٤] إلا أنه لسوء الحظ لم يكن لهذا العمل تأثير يذكر على العامة أو النقاد في المملكة العربية السعودية حينها، حيث الاتجاه الذي لا يولي اهتماما أو حسابا للأعمال النسائية، ذلك أن هذا الأمر قاصر على الرجال فقط نظرا لشخصيتهم المستقلة ومكانتهم الخاصة، وهكذا، فتلك هي نتاج للمواقف والميول الثقافية نحو المرأة، أو حتى لسوء الفهم للنظرية الأدبية.

ويمكن ملاحظة تزايد أعداد الكاتبات السعوديات مع مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، وذلك من خلال مطالعة ما يكتبن من مقالات في الصحف أو القصة القصيرة أو الروايات التي قد تم نشرها. وتنبه إلى ذلك عبدالكريم الحقيل وأصدر عام ١٩٨٣ كتابه أدب المرأة السعودية المعاصر، وانتقى المؤلف ما يقارب ١٠٣ مقالة صحفية نشرتها كاتبات سعوديات، بعضهن كن روائيات بالفعل آنذاك. وقد استخدم الكاتب لفظة (أدب) في العنوان بطريقة يقصد بها الكتابة بصفة عامة. وفي استهلالية الكتاب، طرح الكاتب أسئلة وثيقة الصلة بالموضوع فيما يتصل بالأدب السعودي، ومن جملتها السؤال هل لدينا أدب نسائي؟ وهل أسهمت المرأة السعودية في معالجة القضايا الفكرية. والاجتماعية؟ هل قدمت ما يمكن أن يطلق عليه أدب المرأة؟[٢٥] وقد أشار المؤلف إلى أن مثل هذه الأسئلة المهمة تم طرحها في ذلك الوقت في المملكة العربية السعودية، ويعد كتاب الحقيل واحدا من أوائل المؤلفات التي تنظر في قضايا المرأة بوصفها قضية فردية متصلة بالأدب وأجناسه، وغيرها من الموضوعات الأخرى.

ويحظى الكتاب بالريادة قياسا للدراسات السابقة في ذلك الوقت والمتعلقة في اختيار المرأة أنموذجا للكتابة بصورة منفصلة.

شهد عام ١٩٨٣ نشر كتاب أدب المرأة في الجزيرة والخليج العربي للكاتبة الكويتية ليلى صالح، وهو مختصر مختص بالسير الذاتية، ويسلط الضوء على التعريف بالكاتبات خاصة في دول الخليج، ويحتوي بعض المعلومات غير الدقيقة، فضلا عن عدم التفريق بين الأجناس الأدبية، ولكنه قد يعد أول كتاب عن الكاتبات في الخليج والمملكة السعودية، وهو لسوء الحظ نشر مبكرا جدا، كي يتمكن المثقفون والنقاد والقراء في إدراك احترام خصوصية الظاهرة الأنثوية في الكتابة والتصنيف.[٢٦]

في عام ١٩٨٩، ظهر فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور. وهو من الأعمال التي كتبها الناقد المصري السيد محمد ديب، خلال فترة عملة بالتدريس في المملكة العربية السعودية، وهو واحد من الكتب النقدية المهمة حول الرواية السعودية. وأشار ديب إلى معظم الروايات التي كتبت من روائيات حتى وقت تدوين كتابه إلا أنه لم يشر إلى رواية عفوا يا آدم للكاتبة صفية عنبر التي نشرت في القاهرة عام ١٩٨٦، وأشار كالكثير من النقاد إلى أن رواية هدى الرشيد، غدا سيكون الخميس على أنها رواية جيدة، وأنها واحدة من أفضل ست روايات ناقشها في كتابه. يضاف إلى أنه أنصف سميرة بنت الجزيرة بوصفها روائية جيدة لما تتمتع به من أسلوب رومانسي في كتاباتها خاصة في روايتها بريق عينكَ، وبغض النظر عن ذلك، فهو لم يسلط الضوء على روايات سميرة الأخرى، وغريب أن يفهم أن رواياتها كما أشار في مستهل كتابه لا تتعامل مع الحياة الاجتماعية، ولكن قد يكون ذلك مقبولا بالنسبة للمنهج الذي اتبعه، وهذا يعكس المنهجية والنظرية النقدية على الرواية تماما كما يظهر مع منصور الحازمي حينما قام بالتعليق على روايات خاشقجي. ولم يناقش كتاب

السيد محمد ديب بعضا من الروايات النسائية والذكورية مثل بسمة من بحيرة الدموع لعائشة زاهر،[٢٧] وعلل ذلك بسبب ضعف التقنية فيها.[٢٨]

في عام ١٩٩٠، ظهر كتاب للناقد الفلسطيني محمد الشنطي الذي تضمن فصلا بعنوان (المرأة والتحول)، ناقش فيه بعضا من القضايا ذات الصلة بالمرأة، إلا أن المؤلف تعامل مع هذه القضايا من خلال اختياره لنماذج من روايات كتبها رجال ما عدا رواية لا عاش قلبي لأمل شطا. وانتقد بعض الروايات النسائية السعودية بسبب أن الكاتبات لم يخترن الأماكن في أوطانهن. وقد أشار الشنطي أيضا إلى أن الروايات السعودية التي كتبت في وقت مبكر بعيدة عن المناخ والبيئة السعودية قد أعطت مزيدا من الحرية للشخصيات من أجل أداء دورها. وأشار دون تدقيق إلى أن سميرة بنت الجزيرة قامت بكتابة أكثر من عشر روايات منذ بداية عملها بالكتابة، وقد ناقش أعمالها بعد ذلك في مقالة أخرى له نشرت بعد صدور كتابه، مكررا عدد الروايات الخاطئ. وفي حقيقة الأمر، فإن سميرة بنت الجزيرة قد نشرت أكثر من عشرة كتب، ستة منها يمكن وصفها بأنها روايات، بينما الأعداد الأخرى منها قصة قصيرة، أو مقالات بصفة عامة. علاوة على ذلك فإن الشنطي يعد رواياتها؛ روايات للتسلية فقط وعزا ذلك إلى افتقارها لضعف الأسلوب والطريقة التي كتبت بها وتسليطها الضوء على الأحداث تقريبا.[٢٩]

نشر في ١٩٩٨ كتاب الرواية في المملكة العربية السعودية: نشأتها وتطورها ١٩٣٠-١٩٨٩ للناقد السعودي سلطان القحطاني، ويعد في الأصل أطروحة للدكتوراة من جامعة جلاسكو عام ١٩٩٠، وقد أشار المؤلف إلى بعض الروائيات خلال المرحلة التأريخية للموضوع، ومن وجهة نظرة فإن بداية الرواية النسائية ظهرت فترة السبعينيات من القرن العشرين مع رواية هند باغفار البراءة المفقودة كأول رواية.

ويرى أن المرأة بدأت في الكتابة تفاعلا مع الروايات التي كتبها الرجال، وهذا يقودنا إلى حقيقة مدهشة ألا وهي أن الناقد لم يذكر روايات خاشقجي، وعد أن هناك خمسا وعشرين رواية سعودية يمكن أن تنعت بذلك، وفي الوقت نفسه يقوم بتحليل بعض الروايات على الرغم من عدم اعتراف الآخرين بأنها روايات، وتعد دراسته من الدراسات النقدية التي تحتوي على نقد علمي بالفن الروائي.[٣٠]

وهناك دراسة ناقشت واحدة من الروايات التجريبية وهي ما قام به الناقد السعودي معجب العدواني في بحثه للماجستير التناصية في رواية طريق الحرير لرجاء عالم،[٣١] ولم يهتم بأن الرواية من امرأة قدر ما كان منشغلا بتطبيق النظرية التناصية التي هي منهج البحث، ولهذا نلحظ أنه لم يذكر اسم الكاتبة في بحثه إلا مرة واحدة، وقد قام بعد ذلك ببحث خاص عن رواية المرأة السعودية ما يفيد الالتفات للظاهرة النسائية بصورة نقدية.[٣٢]

وهناك دراسة أكاديمية أخرى حول الرواية السعودية نُشرت عام ٢٠٠٠ للناقد حسن الحازمي عنوانها البطل في الرواية السعودية، وهدف الناقد إلى تسليط الضوء على عنصر وصورة البطل في الرواية السعودية بدءا من الرواية السعودية الأولى التوأمان لعبدالقدوس الأنصاري التي نُشرت عام ١٣٤٩/١٩٣٠، وانتهاء بالروايات التي كُتبت عام ١٤١٢/١٩٩٣. والكتاب عبارة عن رسالة ماجستير سجلت عام ١٩٩٣، ويمكن أن يعد العمل الأكاديمي الأول الذي صدر من جامعة سعودية يناقش فيه موضوع الرواية بالمعنى المجازي. وتستخدم كلمة (بطل) في هذه الدراسة بمعناها التقليدي، وتشير إلى شخصية واحدة فقط في الرواية، وهذا الرأي لا تنظر إليه الرواية الحديثة في مفهوم البطل الذي يتجاوز الشخصية إلى الشخوص في المكان أو الزمان أو الموضوع أي تلك التي تؤدي الدور الأكثر أهمية بالرواية. وأشار إلى أن الرواية النسائية

ظهرت في المرحلة الثانية من الأدب السعودي عام ١٣٧٨/١٩٥٨. وبالنسبة له فإن الأعمال الأوائل للروائيات سميرة بنت الجزيرة صاحبة الروايات الست، و هند باغفار صاحبة رواية البراءة المفقودة، وهدى الرشيد في غدا سيكون الخميس تعد من الروايات الضعيفة، نتيجة أن الأحداث عملت على تطوير القصة، وتمت بصورة عشوائية، كما أن الروائيات لم يخصصن نصيبا للبيئة والمناخ السعودي، ولم يكن هناك اهتمام من جانبهن لعنصر التشخيص، وأضاف إلى أن رواية هدى الرشيد هي الأفضل من حيث الأسلوب الفني عن غيرها من الروايات. وطبقا لما ذكره فإن هذه الروايات في نظره هي من النوع الرومانسي الذي يعكس الرومانسية الأوربية الغربية، والتحليل الذي أجراه على دراسته، يعكس التوجه لدى المؤلف وأنه يُلقي الضوء مثلما حدث في الدراسات الأخرى على شكل الرواية التي تكتبها المرأة، فضلا عن موضوع الدراسة وأهدافها. وعنوان الكتاب يعطي انطباعا قويا على استقبال فكر وعقل القارئ/ة المعاصر، بأنه دلالة إلى نقد فيه قيمة ذكورية من خلال كلمة (بطل)[٣٣] الذي يهمل البطولة الأنثوية (بطلة)، وإن كان في اللغة العربية التقليدية تتضمن كلمة (بطل) الذكر والأنثى على حد سواء، وهذا مقبول من الناحية اللغوية إلا أن ذلك يعاد النظر إليه في النقد الأدبي واللسانيات المعاصرة التي ترفض المغالبة اللغوية خاصة من وجهة النظر النسائية، التي ترجح أن يكون العنوان البطل والبطلة...[٣٤]

وهكذا، من خلال هذا المسح النقدي المختصر، يمكن ملاحظة أن الاتجاه السائد في النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية قد أولى اهتماما ضمنيا متدرجا للرواية التي كتبتها المرأة، يضاف إلى ذلك فإنه يبدو أن الكاتبات قد حصلن على قدر من الاهتمام ليس بالكثير جدا أو القليل من خلال الدراسات الحديثة، فضلا عن الدراسات التي ظهرت مبكرا التي تشير إلى التطور البسيط الذي حدث في مواقف

النقاد خاصة السعوديين منهم. وهذا التقدم في النقد السعودي إيجابي في المواقف نحو الكاتبات بالمملكة العربية السعودية.

وهناك نوع من اللاتوافق فيما يتعلق بمفهوم الرواية بوصفها جنسا من الأجناس الأدبية، فنجد أن غالبية النقاد يهتمون بالشكل والأخذ بوجهات النظر التأريخية، وبعضهن يصر على التركيز على التقنيات التقليدية مثل الشخصية والبيئة وغيرها دون الأخذ في الذهن ربط العلاقة بين الثيمات وأسلوب المعالجة الفنية، ونوع الخطاب في نظرية السرد. ولا يفترض نقد الثيمات التي لا تنطوي على أهمية نسبية لمجرد التعليق، بل عليهم أن يضعوا تلك الأمور السلبية في حساباتهم، ومعالجتها بصورة تصب في صالح العمل وعلائقياته، وعدم إهمال العامل الزمني والتأريخي بوصفهما محورين مهمين لسياق الثقافة الأدبية. والروائيات السعوديات لم يكن محورا لدراسة أكاديمية فردية مستقلة بسبب الميول والاتجاهات الثقافية، وبسبب المواقف السلبية بصفة عامة للمواقف التي ينظر بها لعمل المرأة، وفكرة فصل أنواع الجنس الأدبي، ولم تناقش الرواية أو القصة النسائية كعمل منفصل مع وجود مجموعة من النقاد الذين تناولوا روايات لكاتبات وروائيات سعوديات كما ذُكر من قبل إلا أن هؤلاء النقاد قد سلطوا الضوء والاهتمام على الشكل وأسلوب المعالجة الفنية دون ربطهما بالحقيقة المعرفية لخطاب المرأة. لقد سلطت الروائيات السعوديات الضوء على قضايا مختلفة مستخدمات أساليب متعددة للمعالجة الفنية، وركزن على قضايا المرأة من وجهة نظرهن. وبعض النقاد قد تجاهلوا بعض الروايات التي تناقش المجتمع السعودي على الرغم من أن تلك الروايات من روائيات سعوديات، مثل رواية عبث لهدى الرشيد وهي الرواية التي قلما تعرض لها النقاد بالمناقشة.[٣٥] ويجدر القول: إن جميع الدراسات النقدية قام بكتابتها نقاد من الرجال وتشربت بصبغة وأيديولوجية ذكورية بحيث لا

يُنظر إلى المرأة على أنها جزء متساو في الجنس أو مبدعة لأعمال أدبية مختلفة دون تفعيل وإدراك للمناهج التي تساعد على القيمة في كتابة المرأة. ومن هذا المنطلق، فإن الروايات التي تناولتها أيد نسائية بالكتابة بحاجة إلى قراءة تؤمن بفكرة النوع وآليات مناقشة الأدب النسائي الذي يرفض أخذه منفصلا حتى في الدراسات الأكاديمية. وقد عبرت آراء وأفكار صديقة عربي *(Saddeka Arebi)* بشأن هذا الأمر بشكل صحيح عند قولها:

> لم يدرك الرجل أن المرأة جزء لا يتجزأ من هذا العالم، وأن ما يحدث في العالم تشعر به المرأة مثلما يشعر به الرجل، إن لم يكن أكثر من ذلك. إن التطورات الحاصلة في هذا العالم تؤثر في المرأة، مثلما تؤثر في الرجل، ذلك أنها لا تستطيع العيش في عالم مختلف عن الرجل. ومن حقها كإنسانه تمتلك الفكر والذكاء أن تشارك بآرائها فيما يحدث في العالم[٣٦]

لقد نوقشت بعض القصص القصيرة لكاتبات سعوديات في أعمال مختلفة جمع دليلها كتاب، الأدب السعودي بأقلام الدارسين العرب.[٣٧] وفيه ما يقارب من خمسة عشر بحثا ناقشت القصة القصيرة للكاتبات السعوديات، ونشرت البحوث أصلا ما بين عامي ١٩٧٩-١٩٩٥، إلا أنه لم يكن هناك شيء محدد كتب بخصوص الروايات النسائية. وقد ظهرت المناقشات متتالية بعد ذلك لرصد الظاهرة النسائية، وظهر صوت أعمال المرأة الروائية، ويرجع السبب في ذلك إلى أن مصطلح النسائية إن أمكن

أن نقول، والقضايا ذات الصلة بالمرأة لاقت صدى كبيرا مؤثرا في الثقافة العربية والثقافة السعودية خاصة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ كنوع من الحراك الاجتماعي، وتحولت الحركة النسائية من كونها هامشية إلى الحراك بعيدا عن ذلك مع فهم لدائرتها بصورة غير واضحة.

وظهر في عام ١٩٩٤ كتاب صديقة عربي عن مؤلفات المرأة السعودية بعنوان (*Women and Word in Saudi Arabia: The Politics of Literary Discourse*) المرأة والكلمات في المملكة العربية السعودية: سياسة الخطاب الأدبي، والكتاب في الأصل عمل أكاديمي به العديد من الموضوعات المنتقاة. ولم يكن هدفه الاهتمام بالأعمال الأدبية، بل أكثر من ذلك، وهو تسليط الضوء على صوت المرأة من خلال اختيار تسع كاتبات سعوديات، ثم انتقاء أعمال مختلفة لهن. وقامت بمراجعة كتابات العينة من خلال حوارات ومقابلات شخصية معهن، وفي الوقت نفسه تعاملت مع مختلف الأنماط الأسلوبية للكاتبات السعوديات ومناقشتها بما فيها مقالات صحفية، ولكنها لم تتضمن أيا من رواياتهن. وهكذا، فإن عملها لا يعد من الأعمال النقدية الأدبية، ولكنه دراسة أنثروبولوجية من وجهة نظر الدراسات النسائية.

ولم تكن ظاهرة الأعمال النسائية كما ذكرنا كافية لبروزها في المجتمع بثقافته الخاصة، وحضور جو الشعر كان مسيطرا على التوجه الأدبي للمجتمع فترة الثمانينيات، وقد ضمن بعض النقاد أعمالا نسائية في طبعاتهم الثانية، والبعض الآخر كتب عنهن بشكل مستقل فيما يتعلق بالقصة القصيرة، وهذه دلالات إلى التطور، في شعور بعض النقاد بهذه الظاهرة، كما أنه من بين الإسقاطات أو الأمور التي تم إغفالها في السابق على نحو هام هو عدم تكون إدراك في الثقافة المحلية في أن يكتب عن الإبداع النسائي منفردا. مع حضور بعض النقاد الذين تناولوا أعمالا نسائية منفردة، ومع أنه قد ظهر نوع من التأصيل لهذه الظاهرة وصعودها على السطح حتى الآن، ويرجع

السبب في ذلك إلى أن النظرية النسائية تحركت بفعل مناقشتها ضمن الدراسات الثقافية والسياسية الحديثة عالميا وداخليا.

تأتي الكتابة النقدية لعمل المرأة بعد الإبداعية كأي عمل نقدي، ففي أوربة برزت ظاهرة الكتابة الحديثة عن المرأة فترة السبعينيات من القرن العشرين نتيجة للحركة النسائية خلال الستينيات والسبعينيات، وألقي الضوء ليس على المعاصر منه فقط. وقد أشارت الناقدة النسائية توريل موي (*Toril Moi*) في كتابها الذي ظهر في أول الستينيات (*Sexual/Textual Politics: Feminist Literary Theory*) سياسة النص والجنس: النظرية الأدبية النسائية إلى أن الاهتمام تزايد مع عام ١٩٧٥ عندما كان هناك تركيز على أعمال كاتبات نسائية بصورة خاصة.[٣٨] وفيما يتعلق بالدراسات الشرقية لاحظت بيث بارون (*Beth Baron*) في بحثها الذي نشرته عام ١٩٩٦ إلى أن الدراسات الخاصة بالأدب النسائي في الشرق الأوسط قد تغيرت بشكل لا يمكن تصديقه وبصورة سريعة على مدى السنوات القليلة الماضية. وهذه الدراسة تقدم لنا دراسة مسحية ميدانية ذات قيمة كبيرة لمجموعة مهمة من البحوث والكتب التي ظهرت منذ السبعينيات.[٣٩]

وانعكس الالتفات حول قضايا المرأة وأعمالها وما يختص بثقافتها بتوسع في المملكة العربية السعودية، وقد أدرك الغذامي الأهمية الثقافية لتلك القضايا الجديدة في كتابه المرأة واللغة، وعكس من خلال هذا الكتاب مناقشة الرؤية في الميول تجاه المرأة التي قد تظهر في اللغة العربية أو الثقافة من كونها انعكاس لسيطرة الرجل منذ فترة زمنية طويلة. وهذا الكتاب وغيره لنفس المؤلف وعنوانه ثقافة الوهم الذي يعد تكملة للأول يوضحان انسيابية وتدفق الثقافة النسائية في خطواتها في المجتمع كما ظهرت في مراحل سابقة في مجتمعات مغايرة كما ظهر في الغرب مع دال سبنسر

(*Dale Spender*) في كتابه (*Man made Language*)،[٤٠] الرجل صنع اللغة ونحو ذلك من تأليفات. وهذه الرؤية في وجهة النظر الجديدة فيما يتعلق بفكرة المرأة واتجاهاتها حدث له تطور مرورا بأصحاب حركة التنوير والثقافة في العالم العربي عموما، وربما يعود السبب إلى شعورهم بالذنب بشأن الموقف التأريخي والاتجاهات التأريخية نحو المرأة في الثقافة العربية نتيجة لظهور العديد من المغالطات والإخفاقات الفكرية.[٤١]

وعموما فإن رؤية المرأة التي تظهر من خلال الأدب النسائي السعودي قد تغيرت وتطورت إلى درجات محدودة بحيث تشير إلى بعض التغيرات السياسية والثقافية في المستقبل القريب جدا في المواقف والاتجاهات نحوهن. وقد نشر كتاب بالإنجليزية تضمن ترجمة لقصص قصيرة لكاتبات سعوديات منهن روائيات بعنوان (*Voices of Change: Short Stories by Saudi Arabian Women Writers*) تغيير الأصوات: قصص قصيرة لكاتبات سعوديات، وكان غرض الكتاب هو وصول صوت المرأة السعودية بالإنجليزية من خلال اختيار بعض نصوصهن. وهكذا، فإن الكتاب ليس عملا نقديا، بل هدف إلى الإعلان والتعريف بصوت المرأة السعودية والاعتراف بخصوصيتها التأليفية.[٤٢]

ونشر محمد العوين كتابا نقديا يتقدم عن العروض السابقة ناقش فيه صورة المرأة السعودية في القصة القصيرة والرواية من عام ١٩٣٠ حتى ١٩٩٧. والكتاب عبارة عن أطروحة للدكتوراة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، من مجلدين ضخمين، يتضمن دراسات ميدانية تفصيلية ذات قدر عظيم من المعلومات الدقيقة والأمانة العلمية. وقد ألقى المؤلف الضوء على الاختلافات العديدة لصورة المرأة التي تصورها القصة القصيرة والرواية السعودية، ومن ثم، فإن تعليقاته وآراءه

النقدية تعكس وجهة نظر معتدلة نحو المرأة، ويظل المؤلف متميزا لاختياره المرأة موضوعا لعمله، وإن ركز جل اهتمامه على القصة القصيرة أكثر من الرواية، ولو أنه انشغل بأحد الجنسين الأدبيين لربما كان أحكم منهجيا، ولم يأخذ الجهد الكبير الذي بذل في الكتاب. ويعود السبب في ذلك إلى التباين والاختلاف الكبير بين كيفية تصوير الشخصيات وتطور سلوكها ضمن السرد القصصي الطويل والقصير. ويتبين لنا أن المؤلف لم يتجاهل أي رواية من الروايات أو أي من القصص القصيرة التي عمل على تجاهلها أو على عدم التطرق إليها غيره، وكأنه إيذان بنهاية تلك الحقبة التقليدية، فقد أشار المؤلف لرواية عبث لهدى الرشيد، والقصة القصيرة نساء فوق خط الاستواء لزينب حفني، وكلا النصين همشا من قبل آخرين.[٤٣] ومثل هذا الفعل في مناقشة هذين العملين من ناقد سعودي يشير إلى أن موقف ومناخ الحرية والمناقشة متطور في المجتمع السعودي، وفتح المجال أمام مزيد من الحرية.

وهذا النوع من الأعمال التقدمية نحو المرأة يبدو مشابها لما حدث في الغرب وأوربا إبان فترة السبعينيات من القرن العشرين حينما قامت ثورة بين الكتاب الراديكاليين خلال فترة تطور النسائية من أيديولوجيات هامشية حتى أصبحت موضوعا ذا أهمية لكل من الكاتبات النسائية والرائدات منهن خلال هذا العقد من الزمان.[٤٤] وبعد، فإن الأفكار والاتجاهات نحو المرأة قد أظهرت تطورها من وجهة نظر بعض الرجال، وقد يعود السبب إلى إدراكهم بنظرية التطور والتغيير الاجتماعي ضمن العولمة ودورها السياسي.

٢,٢,١ ما بعد إعادة القراءة: الطريق إلى الفهم

يعد فهم ثقافة وهوية الأدب النسائي عملية تستلزم فهم النظرية النسائية، وفهم الخصوصية بسماتها عاملا مهما في إدراك هذه النظرية، ومن هنا ننطلق من أن المرأة

السعودية وثقافتها ذات طبيعة اجتماعية لها خصوصيتها كغيرها تؤثر على إنتاجها الأدبي الفردي أو الجماعي، وعدم أخذ قيمة الخصوصيات والحريات الفردية معضلة لاحترام مفهوم الأدب النسائي. وقد أشار تيري إيجلتون (*Terry Eagleton*) المنظر البريطاني فيما يتعلق بقضية اختلاف خصوصية الثقافات وأخذ ذلك جزئية مهمة في النقاش، وقرر بأن:

> الصراع بين الحضارة المتقدمة، والثقافة كهوية، وثقافة ما بعد الحداثة ليست أمورا عالمية في مقابل المحلية، وهذه الثلاثة جمعاء تشكل طرق مختلفة. فالثقافة المتقدمة قد تكون عالمية، ولكنها قد لا تعني أن تستند إلى أمة محلية، وكذلك ثقافات الهوية قد تكون محلية إلا أنها قد تنتمي للعالمية مثل الحركة النسائية أو الإسلام وثقافة ما بعد الحداثة كما شاهدنا الأخيرة كنوع من الطائفية والخصوصية العالمية[٤٥]

ومن ناحية أخرى، يعتقد إيجلتون أن الهوية الثقافية تتغير مع التغيرات في البيئة السياسية.[٤٦] أما المنظرة النسائية جوليا كريستيفا (*Julia Kristeva*)، فقد ركزت في دراساتها الأخيرة على أهمية النظر إلى الدراسات النسائية من خلال نظرية الخصوصية التي تحمل بدورها وجهات نظر مختلفة من وجهة نظر المجتمع، ومن وجهة نظر تصنيف الجنس، وفي محاضرة لها ألقتها في جامعة مانشستر حول تلك النظرية، نشرتها لاحقا،

ساقت مجموعة من وجهات النظر الفردية والمتباينة حول المجتمع والأعمال الأدبية. ولخصت القول في أن الخصوصية تركز على: (أن هناك تباينا واختلافا بين العرب، مثلما هو موجود بين البريطانيين، وكذلك بين الفرنسيين حتى في المجتمع الأوربي يختلف الفرنسيون عن البريطانيين وهذه الفروق نوع من الحقوق الطبيعية للشعوب). وكما أشارت إلى أنه مع انشغالنا بأنفسنا وبالإمكانات والاحتمالات المنفتحة على الفرد، فلا يمكن تحديد أو تقييد هذه الإمكانات فيما يتعلق بالسعادة، ولكن فيما يختص بالحرية. أما الخصوصية، فمما لا شك فيه أنها تظهر من خلال المنظور المستقبلي لاستقلالية الفرد والمجتمع. وكما أوضح ريموند وليمز (*Raymond Williams*) عن صراع الخصوصية في الغرب بمعناه الحديث بأنها تعمل لكسر نظام أفكار مجتمع القرون الوسطى اقتصاديا ودينيا.[٤٧] والخصوصية نظام منطقي عقلاني في النظرية والتطبيق، فبينما الماركسية تركز على المجتمع وعلى الفرد من الناحية العملية، فهي سمة المجتمع المتحضر الذي يحترم ذلك، لأنها بوابة الحرية السليمة وعلامة المجتمع المدني، بينما يذهب المجتمع التقليدي إلى التأكيد على مفاهيم مختلفة مثل مكانة الفرد وعمره وهل هو رجل أو امرأة.

أما الرأسمالية التي تعتمد بدورها على الخصوصية من منظور مغاير، فتعمل على اعتماد ثقافة القوة المتعددة، وسلطة الإنسان، والعولمة الرأسمالية الجديدة. وهي في شكلها المتشدد تظهر من خلال قوة الرجل صاحب الصلاحيات الأكثر، ولا تنظر إلى خصوصية الآخرين كمبدأ، ولا إلى اهتمامات البلدان والمجتمعات الضعيفة. وهكذا، فإن الخصوصية الإيجابية نوع من النظرية الثقافية والنظرية العالمية والفلسفة الاشتراكية الاجتماعية التي لا يمكن رؤيتها من منظور رسمي أو تابع بسبب اختلافها عن غيرها. إنها تعطي إحساسا بالثقة لهؤلاء الذين يفكرون أو يتعقدون أنهم ضعفاء،

كما أنها يجب ألاَ تستخدم لأي هدف من أغراض التمييز العنصري. والبلدان العربية بخاصة المملكة العربية السعودية يمكن تصنيفها ضمن البلدان الرأسمالية التي لم تنجح كثيرا في تقدير وتثمين الخصوصية، وتلك واحدة من المشكلات الأكثر أهمية في البلدان العربية، وهناك حاجة إلى الخلط بين النظريات الاجتماعية والحديثة للتطوير والخطط، وبناء بنية اجتماعية جيدة وحديثة. والحاجة لتقدير وتثمين الخصوصية في نواحي عدة خاصة ما يتعلق بتصنيف الجنس، والطبقات، والمواقف. وفيما يتعلق بالنظر إلى مكانة المرأة في الأيديولوجية الرأسمالية، نلحظ أن رائدة الحركة النسائية المصرية والعربية المعاصرة نوال السعداوي تنظر إلى الرأسمالية بأنها معادية لهوية المرأة. وتدرك السعداوي أيضا أن الرأسمالية لاتزال تواجه وتنتقد من قبل الأيديولوجية الاشتراكية الاجتماعية منذ زمن إنجلز (*Engels*) وماركس (*Marx*) الذين أكدا في معظم انتقاداتها للرأسمالية كيفية تعامل الرأسمالية المرأة سلبا وتستغلها في جوانب عديدة مختلفة. وتقرر السعداوي بأن المرأة في النظام الرأسمالي تُعامل على أنها سلعة تباع تحت مسمى الزواج، وترى أن الاشتراكية الاجتماعية هي الفلسفة التي تحض على ضرورة معاملة المرأة في الحياة الاجتماعية على أنها متساوية مع الرجل.[٤٨]

تنطلق هذه الدراسة من الإيمان بخصوصية جنس المرأة ثقافيا *(womankind)*، وتأخذ بالحسبان روايات وخيال الروائيات المختارات من المملكة العربية السعودية بوصفهن جزءا من التيار النسائي العالمي. والسعودية كغيرها من البلدان لها هويتها وخصوصيتها العامة بوصفها بلدا تحت التنمية، ومن العالم الثالث الساعي للتطور. والإيمان والاعتقاد بتقدير الخصوصية خاصة في البلدان النامية من شأنه أن يؤدي لحدوث تغيير فكري فيما يتعلق بالعديد من الجوانب في المجتمع؛ الاقتصادية، وحقوق الإنسان. وقيمة ومعنى الهوية يساعد على تشكيل مجتمع يعمد على تعددية الآراء

ويهيئ الحرية الفردية في التفكير من خلال الرؤية الخاصة. وبناء على ذلك فإن الخصوصية يجب ألا تكون عذرا ومبررا لأي حكومة أو مجتمع من أجل السعي لإحراز أهداف خاصة. وهذه الدراسة تأخذ بالمعرفة الخصوصية على أنها جزء من مفاهيم المناهج الثقافية للإسهام والتقارب الثقافي لجوانب عديدة في المجتمع السعودي، والقبول بالرواية النسائية على أنها عمل أدبي حي خاص، لأنها من جنس يجب أن يعمل بجد، كي يعترف بخصوصيته وحقوقه الكاملة في المجتمع.

لا يمكن القول في العربية بأن هناك لغة للمرأة وأخرى للرجل، مع إمكانية تحديد فروقات لكل جنس في المواقف والجنس والرغبة والتفكير والميول والتوجه وتشكيل الموضوعات بما قد يخص شريحة خاصة، وثيمات وقضايا أخرى تختص بكل جنس، وأخيرا هناك أسلوب يمكن أن يختص به جملة كل جنس. ويعد الراوي/ة من أكثر الأدوات الفنية أهمية في السردية الخيالية المعاصرة، وهكذا، فإن الراوي/ة بالضمير الأول يعد فنيا من أضعف الوسائل المستخدمة في السردية، وهو أقرب إلى الذاتية أكثر، وبناء على ذلك فإن هذه الرؤية لا تعمم على جميع الروايات، ولابد من تطبيقها بشكل مستقل على مختلف الأعمال عند العينة. والرواية الجيدة هي التي تتحلى فيها بنية البناء بالحيادية الاتصالية في الصوت بين المؤلف/ة وشخصياته، فيعرض العمل ويترك لينهض على تطوير الحبكة الروائية من خلال الأحداث. ومن هذه الرؤية النقدية في السردية فإن هذه الدراسة تنظر إلى التعامل مع الراوي/ة في النصوص على أنه العنصر الرئيس الذي يبرهن ويؤكد أسلوبية الكتابة الفنية، والمؤهلات ومهارات التأليف.

وتعد البؤرة الداخلية(*internal focalization*) والخارجية(*focalization external*)، من أهم التقنيات السردية التي تساعد على فهم البناء الروائي، وإلى أي مدى يكون النص حرا طليقا عن سلطة المؤلف/ ة، ومستوى الجودة الفنية، ذلك أن النص يتصاعد

من خلال الأحداث التي تخلقها الشخصيات، ويجب ألا ينال ذلك من التأليف. فالتركيز الداخلي يرتبط بمستوى درجة العلاقات بين المؤلف/ة الحقيقي في عملية الاتصال السردي فالبؤرة الداخلية تتصل بالمؤلف الحقيقي أكثر في توجيه الأحداث، بينما الخارجية تتصل به بغير مباشرة مع اتصالها بفعل الأحداث والشخوص كمحركات للسرد ذاته.

لقد قدم القرن العشرون والنصف الأخير منه العديد من النظريات والمناهج الأدبية التي عملت على توسيع الرؤية النقدية في كل ما يتعلق ويختص بالأجناس الأدبية المختلفة. ويمكن تصنيف هذه النظريات إلى اتجاهين رئيسين، الاتجاه الأول؛ عبارة عن مجموعة من النظريات تلقي الضوء على الشكل، وتكون النتيجة هي إهمال وتجاهل المضمون الذي يصور أو يُظهر القضايا الاجتماعية والحركات الثقافية مثل الشكلانية والبنيوية عموما. والاتجاه الثاني؛ تكون مع النظريات التي تعالج بصورة رئيسة القضايا والحركات الثقافية مثل، الماركسية والاستعمارية والنسائية وما بعد كل منها. ونلاحظ أن بعض النقاد الذي يتبعون الأخيرة لا يولون اهتماما كبير بالقضايا الشكلانية، والمعالجة بأي من الاتجاهين لا يعني إهمال القيمة في النظرية الأدبية في الاتجاهات الأكاديمية.

لقد تطور المجتمع السعودي في جوانب عديدة انعكست بدورها على الأدب. والأعمال النسائية ظهرت لتعكس المتغيرات في المجتمع وفقا للأجناس الأدبية ولوازمها وارتباطها بتطور المجتمع، وعدد الروايات النسائية السعودية في اطراد عددي لا كيفي، بلغ عددها مع عام ٢٠٠٢ حوالي اثنتين وخمسين رواية وحوالي ٨٣ رواية حتى ٢٠٠٦. ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل منفصلة وفقا لتحركها الثقافي، والكثير منها لا يصل إلى أيدي القراء/ت، بل هدفها النقد والمهتمين/ت بالرواية لنيل الشهرة،

والمشاركة في التأليف، وهناك ندرة في بعضها لقلة المنشور منها.[٤٩] وتعمل الدراسة على تقسيم الروايات إلى ثلاث مراحل، وستة فصول؛ المرحلة الأولى تشغل الفترة الزمنية من ١٩٦٠، حيث كان ميلاد أول رواية نسائية سعودية حتى ١٩٨٠. والمرحلة الثانية تتناول الروائيات اللاتي كتبن ونشرن أعمالهن خلال فترة الثمانينيات حتى حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، ثم نصل إلى المرحلة الثالثة من هذه الروايات، حيث تشتمل على فترة ما بعد حرب الخليج الثانية، ممتدا لمناقشة هذه الفترة المستمرة، والأكثر انطلاقا حتى نشر الكتاب، وكل مرحلة تكاد أن تتمثل سمات خاصة يمكن أن تقنن بها الرواية النسائية في السعودية. ويتضمن الفصل الأول هذه الدراسة المسحية، ودور المرأة في الثقافة السعودية، ونظرية الخصوصية والمنهج، وما يتعلق بالهوية والحركات الثقافية. ونستعرض فيه تطور المرأة السعودية والتقدم الذي حققته مما هيئها لكتابة الرواية أحدث الأجناس الأدبية كتابيا. ويوضح الفصل كيف بدأ النقاد معالجة الروايات النسائية السعودية وكيفية التعاطي معها، وعملية التطوير في ذلك.

ويستعرض الفصل الثاني بداية المرحلة الأولى للرواية النسائية ومكانتها منذ الستينيات حتى بداية الثمانينيات، وإلى أسباب تنامي الكاتبات، موضحا تقدم المرأة في المملكة العربية السعودية حتى بداية تناولها لكتابة الرواية. ويعالج الفصل أعمال الروائيات السعوديات الأكثر أهمية مثل: سميرة خاشقجي رائدة الكتابة النسائية السعودية، صاحبة الروايات الست، وكذلك هدى الرشيد، التي تعد من خلال من أفضل الروائيات، وفقا لروايتيها، وخلال تلك الحقبة الزمنية ظهر عشر روايات نسائية. والفصل الثالث يتناول أعمال الروائيات اللاتي ظهرن خلال فترة الثمانينيات حتى حرب الخليج الثانية ١٩٩١. وتعد تلك الفترة الزمنية بداية نهضة الرواية في المملكة العربية السعودية على وجه العموم، وظهر بها إحدى عشرة رواية ظهرت في تلك

المرحلة لتسع كاتبات، استمر بعضهن في كتابة المزيد من الروايات بعد حرب الخليج الثانية ١٩٩١، وقمن بنشر المزيد بعد تلك المرحلة بإضافة ما يقارب ست عشرة رواية أخرى حتى ٢٠٠٧. ويلقي الفصل الضوء على روائيات بدأن في كتابة أكثر من روايتين في تلك المرحلة. ويعالج أهم السمات والخصائص التي تتضح من خلال أعمال هؤلاء الروائيات، وأولاهن في هذا الفصل أمل شطا التي نشرت روايتها الأولى عام ١٩٨٠. وتتناول الدراسة الروايات الثلاث التي كتبتها شطا ونُشرت عام ١٩٨٠، ١٩٨٧، ١٩٩٧ مع الإشارة ضمنا لروايتها الأخيرة المنشورة في عام ٢٠٠٦، ويناقش الفصل الروايات الخمس التي كتبتها صفية عنبر بدءا من روايتها الأولى التي نُشرت عام ١٩٨٦ حتى الرواية الخامسة عام ١٩٩٤.

ويشمل الفصل الرابع الفترة الزمنية نفسها للفصل الثالث (من بداية الثمانينيات حتى حرب الخليج الثانية). ويتضمن روائيتين الأولى بهية بوسبيت في رواياتها الثلاث بدءا من عملها الروائي الأول عام ١٩٨٧ حتى العمل الثالث عام ١٩٩٩. والروائية الثانية رجاء عالم، وتناقش أعمالها التجريبية السبع من ١٩٨٧ حتى السادسة التي نُشرت عام ٢٠٠٢ مع الإشارة لروايتها ستر التي نشرت عام ٢٠٠٥. ويهتم الفصل بدراسة الروايات النسائية فنيا على ضوء السياقات المحيطة بالجغرافية الثقافية وقت كتابة الأعمال، ويظهر أن بهية بوسبيت عملت على تصوير المواقف والاتجاهات باللغة المباشرة غالبا والتأثر بمفهوم الأدب الإسلامي الذي برز تلك الفترة، بينما نجد أن رجاء عالم قد استفادت من الأسلوب التجريبي الذي ظهر خلال نفس الحقبة الزمنية، وتأثرت بمفهوم الحداثة كما أطلق عليه في تلك الفترة.

ويعالج الفصل الخامس الروايات التي ظهرت بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، وهي الفترة التي ظهرت خلالها روائيات جدد ممن حصلن على تعليمهن في

المملكة العربية السعودية، وبرز بعضهن في مناطق أخرى لم تظهر المرأة كاتبة فيها من قبل، خاصة المنطقة الجنوبية. وكانت الروائيات الأول من الحجاز أو من اللاتي يعشن خارج المملكة العربية السعودية، وخلال هذه الفترة الزمنية ظهر عشر روائيات جدد، ومجموع ما كتبن من أعمال بلغ تقريبا ثلاثا وعشرين رواية حتى عام ٢٠٠٢، ونشرت أكثر هذه الأعمال بعد منتصف ١٩٩٥، وتعكس الكاتبات الجدد فكرا وثيمات جديدة ضمن الرواية النسائية السعودية بسبب التغيرات التي حدثت بالمجتمع. وبما أن بعض الروائيات لم ينجزن إلا عملا واحدا حتى تأريخ الدراسة فقد درسنا نماذجهن الوحيدة، وإن كنا مع طباعة هذا الكتاب قد نظرنا إلى إنتاج ما بعد ٢٠٠٢ الذي نشرته ليلى الجهني وزينب حفني وقماشة العليان. والفصل يحثنا لدراسة الشخوص الرئيسة بالرواية لجيل ما بعد حرب الخليج الثانية، ويتناول قماشة العليان، وزينب حنفي، وليلى الجهني ورواية واحدة فقط لنورة الغامدي وأيضا رواية لحنان برناوي، وأخيرا نصل إلى الفصل السادس وفيه خلاصة للبحث.

٣,١ التكيف الاجتماعي والثقافة: الخصوصية والهوية

ليس القصد هنا دراسة الآراء ووجهات النظر التأريخية، ولكن على تسليط الضوء على الحركة الثقافية في المملكة العربية السعودية، ودورها في التغيير والتعليق على بعض المواقف والاتجاهات بالمجتمع التي من شأنها التأثير على وضع المرأة. وهناك دائما صلة بين الأعمال الأدبية، والحركات في المجتمع خاصة ما يتعلق بالعمل النسائي، وهذه هي القضية في بلدان ومجتمعات مثل المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص التي توصف بأنها من البلدان النامية. ومن المهم أن ندرك أنه لا يمكن فصل الأدب عن الحراك الثقافي، بل هو خاضع له خاصة الفن الروائي، والمسرحي،

والسينمائي.

تتشكل غالبية المملكة العربية السعودية من العديد من القبائل المتناثرة وبعض المدن، وهي بلد نام يتطور تبعا لظروفه السياسية، يعمل على التطوير المدني مرحليا، ونظام الرق لم يلغ إلا عام ١٩٦٢، وإعطاء المرأة حق التعليم تم بصورة رسمية عام ١٩٦٠.[٥٠] وتعد المرأة في المملكة العربية السعودية العنصر الأكثر أهمية في المجتمع، ويُنظر إليها على أنها العامل المحوري الأكثر أهمية في البنية الأسرية. ويمثل الإسلام الدين للسكان، وتتميز البلاد بمنطقة الحجاز مأوى المدينتين المقدستين؛ مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأكثرية سكان المملكة من السنة، وهناك مذاهب شيعية مختلفة توجد في بعض مناطق المملكة، مثل: المنطقة الشرقية، ومدينة نجران، وبعض المناطق داخل وحول المدينة المنورة.

وهناك الكثير من الأيديولوجيات والأفكار الحديثة والمعاصرة التي دخلت المملكة العربية السعودية نتيجة للتطورات التي حدثت في التعليم، وبخاصة مع ظهور ونشأة الجامعات وتزايد أعداد المتخرجين/ ت من مختلف الأقطار والمدارس. ومع بداية الأيام الأولى من قيام المجتمع السعودي، أولت الحكومة اهتماما كبيرا بتطوير النظام التعليمي، وبدأت في بعثات الطلاب لتلقي التعليم في مصر من عام ١٩٢٧، وبعدها توالى زيادة الأعداد عقب الحرب العالمية الثانية، بعضهن سافر إلى لبنان. ومع حلول عام ١٩٥٠، بدأت حكومة المملكة العربية السعودية في ابتعاث طلابها إلى الولايات المتحدة الأمريكية،[٥١] كما أن عملية ابتعاث الطلاب إلى البلدان الأخرى قد تزايد تدريجيا إلى البلدان الغربية والأوربية إلا أن ذلك لم يتضمن البلدان والمجتمعات الاشتراكية. والمرأة تشاطر الرجل هذه الخدمات بشرط ألا تسافر خارج المملكة بمفردها وبدون محرم.[٥٢]

لقد عملت المرأة السعودية في مجتمعها المحافظ المملكة العربية السعودية دورا قويا وفعالا في مجال الحياة الاجتماعية والأعمال الخيرية. ولعبت بعض السيدات المتعلمات دورا نشطا في المجتمع مع بداية عام ١٩٦٢، وقامت كل من الأميرتين سارة ولطيفة الفيصل والسيدتين سميرة خاشقجي ومظفر أدهم بوضع لبنات أول جمعية خيرية نسائية، أطلق عليها (جمعية النهضة النسائية الخيرية)، وكان ذلك عام ١٣٨٢/ ١٩٦٢. وبدأت تلك الجمعية تمارس دورها رسميا منذ ١٣/ ١/ ١٣٨٣ الموافق ٥/ ٦/ ١٩٦٣. وقد سُجلت هذه الجمعية الخيرية في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في ٢/ ٣/ ١٣٨٣ الموافق ٢٣/ ٧/ ١٩٦٣، وكانت الملكة الراحلة عفت الثنيان زوجة الملك فيصل –رحمه الله– الرئيسة الشرفية لهذه المنظمة الخيرية، وتهدف الجمعية إلى خدمة المجتمع السعودي من خلال تعزيز وتطوير القدرات النسائية، ولها العديد من الأقسام والإدارات، وبلغ عدد الجمعيات النسائية في المملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٠ حوالي ٢٢ تعمل في أنشطة مساعدة الأطفال والأسر الفقيرة ونحوهما، ويوجد حوالي ١٧٣ من الجمعيات التطوعية يتكون أعضاؤها من الجنسين، ٢٧٠٠٠ من الرجال ٢٥٠٠ من النساء.[٥٣]

وكانت الفتيات في القديم يتلقين التعليم عن طريق الكتاتيب، وكان هناك تعليم مستقل تابع للبنات اللاتي يتعلمن في مجموعات صغيرة، وأصبح منتشرا في مدن مثل مكة المكرمة، جدة، المدينة المنورة وأماكن أخرى.[٥٤] وكان هناك بعض مدارس للبنات في مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة قبل الإعلان عن تأسيس تعليم البنات ١٩٥٩، والذي تأخر رسميا بسبب الضغوط من بعض المتشددين،[٥٥] وكانت هناك إدارة مستقلة تعمل على تنظيم تعليم البنات الذي ارتبط بالإدارة الدينية الذكورية، ومع ذلك كان هناك نهضة متنامية وسريعة في تعليم البنات الرسمي، وتزايدت أعداد المتخرجات من

البنات بدرجة كبيرة في جميع مراحل التعليم. وبلغ خريجو المرحلة الثانوية ٣٦٩ طالبة في ١٣٩٠/١٩٧٠، وتزايد العدد مع ١٣٩٦/١٩٧٦ إلى ٢,٩٩٧ طالبة. كما وصل العدد إلى ٦,٥١١ في ١٤٠٥/١٩٨٥، وكذلك ٢٧,٨٤٨ عام ١٤١٠/ ١٩٨٩، ووصل العدد إلى ٢٨,٥٥٣ في ١٤١٩/١٩٩٩، وفي ١٤٢٠/٢٠٠٠ بلغ العدد الإجمالي للبنات اللاتي التحقن بالمدارس الأولية إلى مليون وخمسين ألفا وخمسمئة واثنتين وثمانين طالبة.[٥٦] وطبقا للإحصائية الرسمية لعام ٢٠٠٦ فإن عدد الطلاب والطالبات في المراحل من الابتدائية حتى الجامعية بلغ ٤٨١٨٦٩٤، تمثل الإناث منه ٢٢٧١٩٠٦.[٥٧] وفيما يتعلق بالتعليم العالي، وطبقا لما ذكره معالي وزير التعليم العالي الدكتور خالد العنقري فإن نسبة السيدات السعوديات من الطالبات بلغت حوالي ٥٨%،[٥٨] وهذا الرقم يوضح إلى أي مدى تحسن مستوى وضع المرأة في المجتمع السعودي، وتطوره السريع المتجدد، الذي أدى بدوره لخلق مشكلات التوظيف المستقبلية، وفرص العمل المحدودة للمرأة.

تنعكس التغيرات الراديكالية في المجتمع السعودي مع المواقف التقليدية بين المتعلمين من جهة وغير المتعلمين من جهة أخرى، ويلاحظ أن بعض صناع القرار من المسؤلين الدينيين لديهم الصلاحية والسلطة والتأثير على اتخاذ القرار،[٥٩] وبعض هذه المواقف قد تم استغلالها كأداة سياسية بهدف إحراز قوة ونفوذ وسلطة.[٦٠] وقد بات جليا أن هناك بعض الخيوط من الأفكار العالمية والمتحررة منبثقة أساسا من الرجال، فهناك مثلا بعض الآراء التقليدية والدينية والراديكالية تتبنى وجهات نظر قوية فيما يتعلق بوضـــع المرأة ومكانتها.[٦١] على سبيل المثال ففي المملكة العربية السعودية نجد أن المرأة لم يُسمح لها حتى الآن بقيادة السيارات،[٦٢] وكذلك عدم السماح لها بتقلد وظائف عليا في الحكومة، وإن كانت الدولة تسعى لكبح هذا التصور، وعملت مؤخرا على

تعيين مديرة لجامعة البنات بمرتبة معالي عام ٢٠٠٦ كأول مديرة لجامعة البنات في الرياض بمرتبة معالي، وهي أعلى وظيفة تلقتها المرأة.

ويرجع السبب إلى حرمان المرأة من قيادة السيارات إلى الرؤية الدينية بدعوى تقليل الاختلاط بين الرجال والنساء في الأماكن العامة، وبعض الحجج المتعلقة بالمجتمع وتنظيمه. وهناك بعض القرى والهجر التي تقود المرأة فيها السيارة بصورة غير قانونية داخل مناطقهن الخاصة بهن، وتغيير القانون بالسماح للمرأة بقيادة السيارة يضع الحكومة في موقف صعب، ذلك أن إعطاء المرأة حق القيادة يؤدي إلى فتح مجالات أوسع لأعمال المرأة غير المسموح بها، أو غير المهيأة لها. وقد يستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن يتحقق ذلك في أنظمة المملكة العربية السعودية الرسمية لارتباطه بالتطور الاجتماعي الذي هو في السعودية يتأثر كثيرا بالتقليدية والأفكار الراديكالية، والقرار السياسي. وقد مر المجتمع بمراحل كثيرة مشابهة تجاوزها، وأصبحت في سجل التأريخ كما حصل مع الإذاعة التي كانت محرمة قبل إنشائها عام ١٩٤٥، وقضية التلفاز الذي كان محظورا أيضا قبل إنشائه عام ١٩٦٣، ومع عام ١٩٨٠ وصلت المحطة التلفزيونية إلى ٩٠% من المساحة الجغرافية.[٦٣] ونلاحظ أن الأفراد الذين رفضوا مشاهدة التلفاز، أو جلبه إلى منازلهم، أصبحوا آلفين له، وليست لديهم مشكلة الآن في اقتناء ومشاهدة التلفاز وحب الظهور فيه. وفكرة حرمان المرأة من تقلد بعض الوظائف المعينة مثل الوظائف العليا، يرتبط بوجهات نظر دينية من قبل الجماعات السنية ذات الأكثرية السكانية في المملكة العربية السعودية، وهذه الآراء قد فُسرت بصورة مختلفة في أطراف أخرى من العالم الإسلامي.

وتعيش المرأة في المملكة العربية السعودية في كنف أسرتها ورعايتها حتى تتزوج غالبا، وهي دائما تنظر باحترام إلى القيم الإسلامية، وترعاها مثلما يفعل

الرجل. ومعظم النساء على وجه العموم يلتزمن بالمحافظة والعادات والتقاليد وارتداء الحجاب الذي أحيانا يغطي الوجه فيه أو استخدام النقاب في الغالب، وهو الأمر الذي يطالب به النظام الاجتماعي رسميا، وتلتزم كل فتاة به إذا وصلت سن البلوغ، حتى من الناحية الرسمية في المدارس الحكومية. وتغطية الوجه بالنسبة للمرأة في الإسلام عرف وقانون ليس مقبولا عند غالبية علماء الإسلام على الوجوب.[٦٤] وهو مجرد تأويلات لبعض رجال الدين إشارة إلى بعض النصوص والآيات القرآنية، وما ورد حول ذلك في السنة النبوية الشريفة. وهذه النصوص الدينية فسرها علماء الدين والقائمون على الدعوة نتيجة لنفوذهم ومكانتهم في المجتمع، وفقا لتأثراتهم الاجتماعية. وهذه الأعراف المرتبطة بالحجاب كانت تمارسها قبائل في شبة الجزيرة العربية في مناطق أخرى من الثقافات العربية قبل الإسلام.[٦٥] وقد أشار لذلك الشاعر النابغة الذبياني في قصيدته (المتجردة):[٦٦]

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته، واتقتنا باليـــــد

وتغطية وجه المرأة في المجتمع السعودي لم يكن أمرا شائعا حتى بين صغار البنات في الكثير من القرى في الجنوب،ومناطق الحجاز،والشمال ومدن أخرى مثل جدة ومكة المكرمة[٦٧] حتى فترة السبعينيات. ولكن بعد انتشار الحركات الإسلامية في النصف الثاني من السبعينيات، وظهور الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، أخذت القضية منعطفا أكثر خطورة وتشددا في المجتمع، وأصبح مفهوم تغطية الوجه ظاهرة رسمية، وأصبحت ممارسته سلوكا طبيعيا حتى بين صغار النشء من البنات.[٦٨] ولذلك فإنه يمكن أن تعد فترة نهاية السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين هي فترة تقهقر وتراجع في المجتمع السعودي بالنسبة للمرأة والحرية، عكس فترة الستينيات وبداية السبعينيات. ومع وجود قانون الفصل بين الجنسين في التعليم فإن المرأة عاشت مستقلة

عن الرجل والرجل كذلك،[٦٩] بل وزيد أن بولغ في مفهوم هذا الفصل في كل القضايا ما قد يعود بالتأثيرات السيكولوجية النفسية على كل من الجنسين عند التعامل مع بعضهما البعض، ولهذا وغيره فإن العلاقة بين الجنسين أصبحت أكثر حساسية من السابق، ولم يعد الأمر مثلما كان في العديد من القرى وبعض المدن مثل مكة المكرمة، جدة، المدينة المنورة، حيث كانت العادات والتقاليد أكثر مرونة.[٧٠] ومن هنا فإن مجتمع المملكة العربية السعودية المعاصرة يواجه موقفين مؤثرين، أولهما يتعلق بالعادات والتقاليد، وثانيهما وهو الأكثر نفوذا وتأثيرا هو تفكير الأمواج الدينية التي بطريقة أو بأخرى متأثرة بالتقليدية.

وتطور نظام الحياة يتحسن بصور متصاعدة مع التغيرات الاجتماعية. فبعد احتلال الكويت عام ١٩٩٠، وحرب الخليج الثانية١٩٩١، تم فتح مجال أكبر تدريجيا لمساحة الحرية والأفكار غير المعتادة للطرق في المملكة العربية السعودية،٧١ كما أن ردة فعل الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ أدت في البداية إلى حدوث اندفاع للآراء الدينية، دفاعا عن الإسلام، سواء بالإنابة عن الحكومة أو تعبير عن صوت الغالبية العظمى من الناس التي تؤمن بالإسلام. وصار الإسلام الهوية الجمعية التي تحمي المجتمع وتحافظ على نسيجه، وبخاصة عند اتهامه بطريقة خاطئة ومقصودة من الغرب مثلما وقع في خطاب الولايات المتحدة الأمريكية السياسي مما أدى إلى اعتقاد الكثير بأن هناك صراعا ناشئا بين الحضارات، ومثل هذه القضايا بحاجة إلى وقت للتريث والاستقرار، وبعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، شاهدنا نوعا من الحرية للعامة والأفراد ساعدت على التطور، ونالت المرأة كثافة في الاهتمام من قبل التنظيم الحكومي، وأُتيحت لها فرصة أكبر في الإعلام الذي يزداد ويتطور حتى في جانب مجالات الرجل.[٧٢]

لقد أعطيت المرأة في المملكة العربية السعودية المزيد من الحقوق التعليمية من

الدولة، وحق العمل في الكثير من المؤسسات الحكومية. ومع هذه التطورات نرى أن للمرأة الآن الحق في أن تعمل في جوانب وإدارات أخرى عديدة،[٧٣] بشرط أن يكون عملها منفصلا عن الرجال، كما هو الحال في البنوك وبعض الأسواق والشركات.[٧٤] والمؤشرات تدلل على أن مزيدا من الحرية في طريقها لكل من الرجل والمرأة في مجال القوانين المدنية والمجتمع.[٧٥] إلا أن الحقوق المدنية بحاجة إلى مواقف وتخطيط لتخضع للقبول، ولا يمكن الحصول عليها من الجهات المختصة بدون مطالبة، لأن ذلك يؤدي لفقد تلك السلطة هيبتها ونفوذها، ومن ثم سيطرتها على مجريات الأمور. إن من الأمور الأكثر أهمية هو أن السلطة التقليدية في كل الأماكن والأزمنة وعلى جميع المستويات لاتريد أن ينال الأفراد حقوقهم وحرياتهم المطلقة في التعبير، لأنها ترغب في الاستحواذ وامتلاك الصلاحية وفرض سيطرتها على المجتمع. ومن وجهة النظر التأريخية هناك أمران يمكن أن يعملا على تغير المجتمع، الأول: من خلال الثورة، وهذا يسبب العديد من الجوانب السلبية وإلحاق الضرر والأذى ببنية المجتمع، والثاني: هو من خلال التطور المرحلي والذي يختلف من مجتمع لآخر، ويمكن أن نصنف المملكة العربية السعودية ضمن المنهج الثاني.

تشغل المملكة العربية السعودية حوالي ٨٠% من شبة الجزيرة العربية، وتبلغ مساحة أراضيها اثنين وربع مليون هكتار.[٧٦] وقبل تأسيس المملكة العربية السعودية المعاصرة عام ١٩٣٢، كان الناس يعيشون ظروفا معيشية فقيرة جدا مع تزايد في مستوى الجهل والتمييز بين مختلف القبائل؛ وكانت بعض المناطق تسيطر عليها القوانين الإقليمية، إلا أن معظمها كان تحت احتلال الإمبراطورية العثمانية.[٧٧] وتعد منطقة الحجاز آنذاك من أكثر المناطق المثقفة نظرا لوجود الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث استقطاب الكثير من الأعراق المختلفة بغرض الحج والعمرة

وزيارة الأماكن المقدسة من أنحاء شتى من العالم. واستقر بعض المتعلمين والعلماء المسلمين في تلك المدن لكونها تحظى بالأهمية والفائدة العظمى منذ سنوات الإسلام الأولى.[٧٨] وهذا زاد من قيمة ثقافة هذه المنطقة والنمو الفكري في مدنها الرئيسة. وتعد أكثر مناطق المملكة السعودية الجغرافية من الأجزاء التي لم يدخلها الاستعمار الأوربي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، نظرا لعدم جدوى في إقامة مثل هذه الثكنات العسكرية الاستيطانية في ذلك الوقت.

ولا تزال المملكة العربية السعودية دولة نامية متطورة تعتمد على النفط، لذا فإن المجتمع يقع تحت سيطرة وحكر حركة أسعار النفط المتغيرة. وقد بلغ زيادة نتيجة ارتفاع عائدات النفط بعد الحرب العالمية الثانية إلى ثلاثة ملايين ومائتي ألف دولار عام ١٩٣٩. وفي عام ١٩٥٣ بلغ الدخل مئة وتسعة وتسعون مليونا وثمانمائة ألف دولار أمريكي. هذه النهضة والازدهار الاقتصادي نتيجة زيادة عائدات النفط جاءت مع بداية الستينيات، إلا أن هذه القوة والثروة المستمدة من أسعار النفط بدأت في السبعينيات، وكان ذلك زخم وقوة دافعة قوية لسياسات الحكومة من أجل تطوير العديد من المشروعات ذات الصلة بالبنية التحتية والتركيبة الاقتصادية،[٧٩] لأهداف طويلة الأمد من التطور.[٨٠]

وكنتيجة مباشرة للتطورات السريعة والحديثة بالمجتمع، دون النظر في العواقب المترتبة، ونقص الخطط المتوقعة المستقبلية من قبل الحكومة لتلك التجربة الجديدة على مدى جيلين، فقد واجهت المملكة العربية السعودية مشكلات خطيرة بسبب قرارات اتخذت في بادئ الأمر كان لها تأثير على المؤسسات والمجتمع ككل. لقد كان تركيز الحكومة منصبا على الأمور المادية دون الأخذ في الحسبان التغيرات التي من شأنها التأثير على عقلية وفكر الأفراد وأفكارهم ممن تغيرت أساليب حياتهم المعيشية في

الكثير من الجوانب فجأة. وخلال فترة السبعينيات والثمانينيات، أصبح كثير من السكان يتمتعون بالثراء خاصة الذين يقيمون بالمدن الكبرى، وأصبحت الطبقة المتوسطة أكثرية السكان،[٨١] فترة الثمانينات وما بعدها، ومع الألفية الجديدة تناقصت الطبقة المتوسطة، من عدد السكان الذي بلغ حسب إحصائية ٢٠٠٤ ٢٢٦٧٨٢٦٢ بمعدل ١٦٥٢٧٣٤٠ من السعوديون، وتمثل نسبة الإناث ٤٩,٩%،[٨٢] مع وجود الكثير من الفقر، وكان لهذه الحركة الاقتصادية بلا شك التأثير على الحياة الاجتماعية وأفكار الناس. وكما يشير الكثير من علماء الاجتماع حول ما يحصل في المجتمع من تغيير أثناء التطور، وقديما نظر ابن خلدون عن المجتمعات في أنها إذا حققت مستوى من الرفاهية بعد الفقر ونحو ذلك فإن من شأنها أن تتحول إلى الاضطراب والفساد التدريجي، وهو في نظريته الاجتماعية يعتقد أن سلوك الإنسان خاضع تحت سيطرة العادة وليس البيئة المحيطة به،[٨٣] بمعنى أن العادات تؤثر على تنوع سلوكياته، وفي الواقع ليس هناك ما يدعو للخوف من الأغنياء الذين تسوء حالتهم المادية، بل ربما يكون الخوف من الفقراء الذين قد يصبحون أغنياء فجأة، ويحصل الاضطراب. إن ما حدث من تغير في مستوى المعيشة والحياة المادية هو نوع من الصدمة الثقافية التي أثرت على حياة الناس والمجتمع السعودي، بما فيه الحكومة. والعديد من البلدان والمجتمعات واجهت في الماضي مثل هذه المشكلات ومرت بمشكلات مشابهة، وكان من المفيد أن يستفاد من الكثير من تلك الخبرات السابقة.

وقبل حدوث تطور الإنتاج الضخم في صناعة النفط فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، بقيت المملكة العربية السعودية في مستوى المعيشة المنخفض جدا، وسيطر الجهل والأمراض، وتوارث العادات السابقة.[٨٤] وكانت المرأة تحت مزيد من الضغوط التقليدية أكثر من الرجل نظرا إلى مسؤولياتها تجاه الأسرة،

وهي مسؤولية جسيمة جدا. يضاف إلى ذلك فإنه في غالبية القرى كانت المرأة تعمل في مجال الفلاحة والتجارة كالرجال في الأسواق العامة التي كانت تقام أسبوعيا أو شهريا أو سنويا، والبعض من هذه الأسواق لا يزال في أماكن مختلفة من المملكة، ومنها بعض المدن مثل الرياض، وعسير وبيشة وغيرها. ومن منتصف السبعينيات وما بعدها تحسن وضع المرأة على وجه العموم من الناحية المادية حتى في القرى، فنرى العديد منهن الآن يتمتعن بحياة جيدة سعيدة، ونرى الخادمات الأجنبيات يعملن بالمنازل،[٨٥] وربما يعمل الرجل الأجنبي سائقا للأسرة السعودية بغرض توصيلهن وأولادهن إلى مختلف الحاجات. لقد أصبحت الحياة أكثر جاذبية وسهولة، خلال فترة السبعينيات والثمانينيات ونتج عن ذلك تحسن الاقتصاد السعودي،[٨٦] وانعكس ذلك على زيادة أعداد الأسرة من الطبقات المتوسطة.[٨٧] ومن الصعب على أي مجتمع أن يتحول فجأة من حالة الفقر إلى حياة الرفاهية لمواجهة الأزمات. وتغير المجتمع السعودي منذ عام ١٩٩١، بعد حرب الخليج الثانية، وتطورت وسائل الإعلام المتنوعة صحافة وتلفازا وإذاعة بدرجة كبيرة، مصاحبة للعديد من القنوات العربية والسعودية والمحطات الفضائية من جميع أنحاء العالم.[٨٨] ومع نهاية القرن الماضي ظهرت الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) في المجتمع ما أدى إلى تأثر الناس، والمطالبة بالحريات المدنية والبحث عن الحرية الشخصية دون أي رقابة أو سيطرة من أي جهة.

يحظى النظام الحكومي السعودي بالتطور، ولا يزال في تتابع لعملية الإصلاح. واهتمت الحكومة بصورة كبيرة بالتنمية منذ أوائل السبعينيات، مع الخطط الخمسية التي بدأت من ١٩٧٠/ ٧١، وقد وضعت الخطط لأجل العمل التنظيمي المتتابع على مستوى جميع الحقول الاقتصادية.[٨٩] وهكذا، فإن الحكومة واجهت أزمات بسبب التطور السريع في المجتمع وزيادة السكان، ومع بداية القرن الحادي والعشرين أولت

الحكومة هذا الأمر اهتماما ضمن خطتها التطويرية السابعة التي غطت الفترة ما بين ٢٠٠٠ حتى عام ٢٠٠٤، لتستمر في الاضطلاع بهذا الأمر في الجوانب الحياتية المختلفة.٩٠ وطبقا لما أورده رئيس مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية الدكتور/ صالح العذل فإن الوضع السكاني في المملكة العربية السعودية سوف يكون في ازدياد على مدى العشرين عاما القادمة، وبمعدل يصل إلى ٣,١% سنويا، ومن ثم فإن هناك قضايا مهمة على مستقبل المجتمع منها البطالة المقلقة للجميع مستقبلا، والإسهامات لفرص عمل المرأة السعودية.[٩١] ويرجع السبب في ذلك إلى أن فرص العمل الوظيفية الخاصة بالمرأة محدودة، وهي بحاجة إلى تطوير كي تتلاءم مع التطور في المجتمع. إن مكانة المرأة في المجتمع السعودي تبدو غير منصفة إذا ما قورنت بوضع الرجل ومكانته، ذلك أن تطور وتحسن مكانة المرأة يرتبط مباشرة بالرجل، لأن الرجل يصنع القرارات المؤثرة على المرأة، وهو الذي يشغل مسؤولية اتخاذ القرار، وهناك حاجة حقيقية للنظر في مزيد من الإسهامات المتعددة التي يمكن أن تضاف للمرأة في المجتمع السعودي. والشريعة الإسلامية تجعل الرجل مسؤلا في إعالة أقاربه السيدات، وذلك بتوفير احتياجاتهن ومتطلباتهن قدر الاستطاعة.[٩٢] وقد يكون هذا السبب داعيا لقلة وندرة تواجد المرأة السعودية في وظائف التسوق بعيدا عن الرجل.

وتعد أزمة المرأة قضية ثقافية، لا ينظر إليها باستقلالية خصوصيتها في سياقات الناحية الاجتماعية والسياسية، بل يوظف ذلك لما هو ضد مصلحتها، وتخضع لسيطرة وتحكم الأيديولوجية الذكورية في النظام الاجتماعي،[٩٣] ويعد بروز الصوت الديني في الثمانينيات شعلة الوقود لنيران المعارضة ضد المرأة، وعدم الاعتراف بها في وضع متساو مع الرجل، ومن ثم فإن التقدم الاجتماعي قد توقف نتيجة أفكار ومعتقدات راسخة من قبل التفسيرات الدينية. إن حقوق المرأة في الإسلام متوفرة في النصوص

التي جرى تفسير الكثير منها بأسلوب يجعلها تميل لتوجه وآراء المفسرين وفقا لرغبتهم في الوضع التي يرغبون أن تكون فيه، ونرى تجاهل الكثير من النصوص التي تدعو إلى المساواة مثل (النساء شقائق الرجال) ونحو ذلك من النصوص. وحول وضع المرأة إبان الفترات الإسلامية تعلق طيبة شريف بأنه وعلى امتداد الفترة التأريخية في الثقافة الإسلامية يلاحظ أن المرأة تنال الكثير من الحقوق عند وجود فكر إسلامي مستنير، ويحصل العكس عند حصول الضد، وقد ضربت مثلا بعهد النبوة وفترة الخلافة الراشدة بينما العكس من ذلك، هو ما شاهدناه خلال عصر الأمويين.[٩٤] وإذا رجعنا إلى الوراء لإلقاء نظرة تأريخية، نجد أن العديد من الأفراد والجماعات قد استغلوا واستثمروا الإسلام على أنه تصنيف سياسي أو وسيلة اجتماعية من أجل تحقيق أهدافهم، بينما الإسلام هو فكر متسامح وأداة تساعد على التطور ثقافيا،[٩٥] إن القضية الأساسية التي تؤدي إلى النظر إلى المرأة بأنها غير متساوية مع الرجل في عين المجتمع السعودي تنبع من العادات والأعراف التقليدية، حيث سيطرة وهيمنة الرجل، والاستعانة على التأويلات الدينية من وجهة النظر الذكورية.

وتظهر الفوارق في المجتمعات الإسلامية، فهناك بعض المجتمعات الإسلامية سواء من الشيعة أو السنة تعطي للمرأة مزيدا من الحرية، فالنساء السعوديات من الشيعة مثلا لا يحظين بما تحظى به مثيلتهن في لبنان أو إيران أو العراق، لأن الفكر الاجتماعي يختلف. وكذلك الوضع مع السني في البلدان الأخرى حتى غير العربية، ومن هنا يوجه اللوم للأفكار والعادات والأعراف في طبقات المجتمع السعودي الذي عمل على صنع ثقافته، ومن المستحيل إيجاد حل لتلك القضية دون تغيير تدريجي، وقرار سياسي. وإعطاء المرأة مزيدا من الحقوق يحتاج إلى قرارات من جانب الحكومة التي بيدها سلطة التطوير في أي قرار ذي صلة بالقانون المدني من أجل مساعدة المجتمع

ودفعه على تفهم الوضع الجديد للمرأة التي تعيش في كنفه.[٩٦] وعلى الجانب الآخر، فإن اتخاذ القرارات بصورة عاجلة ومتسرعة قد يكون أمرا ضارا وله آثار غير مرغوب فيها وانعكاسات على معتقدات بعض الأفراد بالمجتمع، بينما نجد من ناحية أخرى أن اتخاذ القرارات بصورة بطيئة يضر بالعملية الثقافية التطورية بالمجتمع.

٤,١ ظاهرة الرواية النسائية في المملكة العربية السعودية

لا يعني التركيز على أدب المرأة التعامل معه بوصفه منفصلا عن الأدب العام، ولكن لإعطائه مساحته الخاصة به. وهذا التصور المرفوض عند الكثيرين نجد له حضورا في الفكر العربي التراثي، واهتم به الكثير من الدارسين وناقشوا أعمال المرأة الأدبية،[٩٧] وهذه الرؤية الاستقلالية لأدب المرأة بهويته الخاصة لم تستمر في التواصل وهذا بحد ذاته محل نظر. ومن أولى الكتابات حول ذلك بلاغات النساء لابن طيفور، المتوفى عام ٢٨٠هـ/ ٨٥٩م، وكتاب أشعار الجواري، للمفجع الشيعي المتوفى عام ٣٢٧ هـ/ ٩٠٥م، وكتاب الإماء الشواعر، لأبي الفرج الأصفهاني، المتوفى عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٤م، وكتاب أشعار النساء لأبي عبدالله المرزباني،المتوفى ٣٨٤هـ/ ٩٦٣م. وهذه الكتب عكست الاختلافات من خلال ظهورها المبني على الرؤية بين الجنسين.[٩٨] والثقافة العربية مثل غيرها من الثقافات على مدى مراحل التأريخ المختلفة، فهناك أعداد قليلة من الكاتبات والقليل منهن من شاعرات مشهورات، وعلقت روزلند ميلز (*Rosalind Miles*) على هذه الظاهرة الإنسانية بأنها مشكلة أيديولوجية في النقد الأدبي عندما نتبين أن هناك عددا قليلا من النساء المشهورات وصفن بشاعرات رئيسات، وهذا يعد إشكالية فعلية على عملية النقد.[٩٩] وهناك بين

الذكور والأنثى في القدرة على العملية الإبداعية الأدبية، ويتأتى ذلك من الاختلاف في معيارية إتاحة الفرصة، والقدرات والمهارات، فتظهر الكتابة النسائية خاصة الخيالية عادة بين الأثرياء والطبقة الراقية. والمجتمع وعاداته مسؤولان عن غياب الكتابة النسائية، فالشعر النسائي التراثي ظهر كثيرا مع الجواري لا الحرائر، ويظهر شعرهن أحيانا أفضل من شعر الرجال، ويرجع السبب إلى أن الشاعرات الجواري أتيحت لهن فرصة التواصل والاتصال بالمجتمع لكونهن جواري، وبعضهن اعتاد على الغناء مع الرجال معا، وهذا مكنهن من التواصل والتحاور مع الرجل وأصبحن أكثر انفتاحا وغزارة في الخبرة عن غيرهن من النساء الحرائر اللاتي لم يكن يُسمح لهن بالسلوك نفسه.

وهناك الكثير من الشاعرات في الكتب التراثية العربية، ففي الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني أحد أهم المصادر في الأدب العربي القديم نلحظ الكثير من القصص والأحداث عن النساء والمغنيات. ويقدم الكتاب معلومات فيما يزيد عن أربع عشرة امرأة، وغالبيتهن من الجواري، مثل دنانير،[١٠٠] وعبيدة،[١٠١] ومحبوبه،[١٠٢] وحبابة،[١٠٣] وجميلة،[١٠٤] وغيرهن،[١٠٥] وقد أشارت روز غُريب في كتابها نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر إلى حوالي مئة وخمسين شاعرة قبل الإسلام، وفترة الإسلام الأولى، بينما بلغ عدد الشاعرات في العصر الأموي العباسي مئة شاعرة. ويتكون معظم الشعر النسائي من مقطوعات قصيرة فردية باستثناء تدوين بعض القصائد النسائية المشهورة، مثل قصائد الخنساء.[١٠٦]

لقد جرت العادة منذ فترات طويلة مضت على عرض الأعمال النسائية من الكتاب الذكور الذين قاموا بالنقد والتحليل والتصنيف من منظور ذكوري. وتعلق الناقدة المصرية عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) حول بعض التصنيفات لشعر النساء

رافضة وصف شعر الخنساء بأنه رثائي فقط. ولاحظت أن النقاد الأوائل والمحدثين يميلون إلى تصنيف المرأة بأنها تميل إلى الأغراض الحزينة والرثاء نتيجة تأثير المجتمع، وأنها في نظرهم غير مؤهلة للنجاح ضمن الأغراض الأخرى. وضربت بنت الشاطئ العديد من شعر الخنساء لتوضيح مدى الخطأ في صوت التحليل عند النقاد الذكور ووجهات نظرهم لشعر الخنساء.[١٠٧] ونلاحظ أن مصطفى الشكعة ناقش الوضع الاجتماعي والثقافي وربطه بحياة وأدب المرأة في الحقبة الأندلسية، ففي كتابه الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه، لاحظ أن المرأة العربية في الأندلس تتمتع بمزيد من الحرية عن المرأة العربية في المشرق العربي نتيجة تأثير انتشار العادات والتقاليد، وذكر الشكعة سياقا أن هناك العديد من النساء العربيات اللاتي كان لهن دور نشط في الأدب، سواء من الجواري أو من الحرائر، وقرر أن الشعر النسائي في الأندلس يحتوي على الكثير من أغراض الشعر التي تكاد تفتقد في شعر المرأة في المشرق مثل شعر الغزل والحب في الرجل وهو الأمر الذي لم يكن له حضور في الشرق،[١٠٨] أو بمعنى آخر لا يرغب في إظهاره تجنبا للمحاذير الاجتماعية.

يعد فن كتابة الرواية كما هو الحال مع أي جنس آخر من الفنون والآداب من الناحية التقليدية ذكوري المنبع، على الرغم من وجود مشاركة من الجنسين فيه. وظهور الرواية النسائية في الثقافة العربية مرتبط بمكانة المرأة في تمدن وتطور المجتمع. وكون المجتمع العربي يميل إلى أن يواصل مسيرته نحو العصرية، فهناك قضايا رئيسة لها دورها في تنمية وتطوير السياسات الاقتصادية والقومية العربية. ومن أكثر العوامل التي ساعدت على تحرير المرأة العربية هو توفير مساحة التعليم المتنوع لها، والكتابة النسائية الروائية تظهر عندما يتاح مزيدا من الفرص للمرأة في التكافؤ مع قرينها الرجال. ومن ثم، فإن التعليم هو العامل الأكثر أهمية لزيادة الوعي عند النساء وانتهاء عزلتهن

وكسر حالة الصمت التي عشنها. والمطالبة بتغيير أيديولوجية الرجل ذات أهمية كبرى لتكتسب المرأة مزيدا من الحرية والحقوق. لقد عانت المرأة العربية طويلا من جراء بعض القضايا التي أثرت على مكانتها داخل المجتمع بسبب أيديولوجية وفكر الرجل والاعتماد على تأويلات دينية، وعند النظر إلى المجتمعات العربية المعاصرة، فإننا نلحظ تزايد الفرص المتاحة للمرأة في مجال الكتابة الإبداعية. وحدث هذا مرحليا في بادي الأمر داخل الأسر من الطبقات المتعلمة وذات المستوى المعيشي المرتفع.

في عام ١٩٦٠ ظهرت الرواية النسائية في شبة الجزيرة العربية للروائية السعودية سميرة خاشقجي. وكانت كتابة الشعر والقصة القصيرة الظاهرة الأبرز بين الكاتبات في شبة الجزيرة العربية. وقد لاحظت سعاد المانع أن الكتابة الوحيدة للمرأة قبل النصف الثاني من القرن الماضي ربما المجموعة الشعرية التي كتبتها خديجة الشنقيطية في مدح الرسول (ﷺ)، ونشرت في ١٩٣٦.[١٠٩]

وتعد الرواية من الأجناس الأدبية الجديدة التي دخلت الثقافة السعودية الحديثة مثل غيرها من الأجناس الأدبية الحديثة كالدراما والقصة القصيرة. وهذا من نتائج الانفتاح المبكر القادم الذي قدم من الثقافتين اللبنانية والمصرية، لدور هاتين الثقافتين في الترجمة، فضلا عن وصول بعض الصحف إلى المملكة العربية السعودية منذ تأسيس الدولة السعودية في ١٩٣٢، يضاف إلى ذلك الإسهامات الخاصة بالكتاب الأوائل من المملكة العربية السعودية ممن درسوا في مصر أو لبنان. لقد أصبح للرواية في الآونة الأخيرة دور هام في حركة الخطاب الأدبي بالمملكة، وغالبية الروايات التي نُشرت في المملكة العربية السعودية من الرجال، مع مشاركة نسائية يغلب عليها الضعف الفني، وقد بينا كيف نوقشت الروايات النسائية بصورة تحتاج إلى توسيع مفاهيمها النقدية لتحظى الرواية النسائية بصورة أكثر نموا.

ظهرت الرواية مثل غيرها من الأجناس الأدبية في المجتمع السعودي مع الرجل، وقام عبدالقدوس الأنصاري بنشر روايته التوأمان في دمشق عام ١٩٣٠، وكتب على غلافها الخارجي الرواية الأولى في الحجاز.[١١٠] وتبع ذلك نشر القصة القصيرة في الصحف السعودية، ولم يكن الكتاب على معرفة بالتمييز بين أسلوب الرواية الفني وبين القصة القصيرة،[١١١] وظهرت مجموعة من الروايات القصيرة في نهاية النصف الأول من القرن ذاته مثل الانتقام الطبيعي عام ١٩٤٥ لمحمد نور، والبعث لمحمد علي مغربي عام ١٩٤٨، وفكرة لأحمد السباعي عام ١٩٤٨، وأمي لعبدالله عبدالجبار عام ١٩٥٤ وله أخرى ذكرها الساسي بعنوان العم سحتوت. وتعد رواية حامد دمنهوري ثمن التضحية المنشورة عام ١٩٥٩ الرواية التي يكاد يتفق النقاد على أنها الرواية الفنية الأولى في الأدب السعودي، وقد اعتبرها ديب بأنها حجر الزاوية الهام في تأريخ الرواية المكتوبة في المملكة العربية السعودية، وقد تم ترجمتها إلى عدة لغات منها الإنجليزية والفرنسية.[١١٢]

لقد ظهرت الرواية في بادئ الأمر دون معرفة مكبرة عند المؤلفين بفن الرواية. ويبدو أنهم اتجهوا لذلك كنوع من الإسهام في أدب مجتمعاتهم في جنس أدبي جديد. وقد لاحظ الشامخ أن عصر النهضة للأدب السعودي كان بطيئا إذا ما قورن بغيره من البلدان العربية في مصر والشام.[١١٣] وحقيقة فإن المستوى التأليفي المتنوع قد تقدم في المملكة العربية السعودية خاصة في جوانب الشعر ومقالات الصحف إلا أنه في مجال الرواية والقصة القصيرة والمسرح لم يحقق الكثير من التقدم.[١١٤] وما ذكره الشامخ يكاد ينطبق حتى الآن، ولكن ليس في المجال الكمي مع ارتقاء متنوع في الكيف، وقد بلغ عدد الروايات جملة ما يقارب ثلاثمئة وثلاثة وستين رواية حتى ٢٠٠٧ حسب إحصائية خالد اليوسف المهتم بذلك.[١١٥]

وتختلف مكانة المرأة الكاتبة عن الرجل نظيرها، ذلك أن الرجل يضلع بمهام ومسؤوليات الأعمال الأدبية منذ البداية، بينما السيدات شرعن في الكتابة الإبداعية مع الشعر والقصة القصيرة. وقد ظهرت الدعوة لحقوق المرأة مبكرا، عندما عرض محمد حسن عواد (١٩٠٢-١٩٨٠) مقالة بعنوان (إليهن) عام ١٩٢٧، ويعد العواد واحدا من الكتاب الأوائل الذين عملوا على تشجيع المرأة وحثها على المطالبة بحقوقها. وفي السنوات الأولى للمجتمع السعودي المعاصر، نجد أن بعض الأسر السعودية عاشت خارج الوطن، في مصر أو لبنان لتتمكن بناتهن من الحصول على قسط من التعليم، وقت أن كان تعليم المرأة في الحجاز وغيره من المناطق يبدو محرما مثل العقاقير المهربة، وخلال تلك الفترة الزمنية كان هناك نقاشات في الصحف بين الراديكاليين والكثير من المعتدلين حول موضوع تعليم المرأة.[١١٦]

ومن بين أكثر العوامل أهمية التي أتاحت الفرصة للمرأة السعودية للظهور والدخول في مملكة الكتابة والثقافة هو فتح التعليم النظامي الحكومي الذي تأسس عام ١٩٥٩.[١١٧] وقد أشارت صالحة سروجي عن سبب تقهقر أدب المرأة السعودية بأنه يعود لتأخر تعليم الفتيات موازنة بحال المرأة العربية الأخرى التي نالت حق التعليم قبل حصول بلدانهن على الاستقلال.[١١٨] ولقد لعب التعليم دورا كبيرا وفعالا في نشر الثقافة وتخفيض الأمية بين النساء، مع انتشاره البطيء، ولكنه وصل حتى إلى القرى وكافة المدن. وبالنسبة لكتابة المرأة ففي عام ١٩٥٦، نشرت مجلة المنهل السعودية المقالة الأولى لكاتبة،[١١٩] ويحتمل أن يكون حمد الجاسر المؤرخ السعودي أول من أسس صفحة نسائية في مجلة اليمامة عن المرأة، وذلك في الأسبوع الأخير من عام ١٣٨٣/ ١٩٦١. وتأسست تلك المجلة عام ١٩٥٤، وكان بعض الكتاب أمثال عبدالقدوس الأنصاري، ويوسف السباعي من أوائل من كتب في مستهل تلك المرحلة مقالات في الصحف بأسماء نسائية، محاولة منهم لحث المرأة وتشجيعها على الكتابة،

بأسماء نسائية، محاولة منهم لحث المرأة وتشجيعها على الكتابة، كما أن بعض النسوة قمن بالكتابة في الصحف مستعيرات أسماء رجال مثل خيرية السقاف.[١٢٠]

مارست الكثير من الكاتبات الكتابة الصحفية، وأخريات كتبن القصة القصيرة، وحققن بهذا مزيدا من الخبرة ومنحن الثقة لاستمرارية الكتابة، وتطورت المعرفة المتنامية واكتساب المهارات، ما أضاف لهن الرغبة في الانطلاق لرحاب أكبر في مجال الكتابة إلى الرواية. وقد بدأت الرواية النسائية بعد كتابة الرجل، وجاءت المرأة لتكتب القصة القصيرة وظهرت تدريجيا خلال الستينيات واستمرت في التطور خلال الثمانينيات. ونرى مما أورده سحمي الهاجري في كتابه القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها إلى عام ١٣٨٤/ ١٩٦٤، أربع قصص قصيرة قد تعد أوائل ما نشر ورصد في ذلك الحقل، وهي الأمل لفوزية حمزة غوث نشرت في جريدة عكاظ في ٢٤/ ٧/ ١٩٦٣، والانتقام الرهيب لآمنة عبدالله في ١٣/ ١١/ ١٩٦٣، وإرادة الله لسارة بوحيمد في جريدة اليمامة في ٢٦/ ٦/ ١٩٦٤، و السعادة المفقودة لنوره الشملان في مجلة اليمامة في ١٩٦٤/٨/٢٨،[١٢١] وربما تكون هذه القصص القصيرة البدايات لكتابة المرأة السعودية للقصة القصيرة، ونشرها في الصحف المحلية. وظهرت مجموعات قصصية، فنشرت نجاة خياط عام ١٩٦٦ مجموعتها مخاض الصمت، وتعد خياط رائدة كتابة القصة القصيرة النسائية في المملكة العربية السعودية، وعملت على تحويل القصة القصيرة من السرد الكلاسيكي إلى السرد الحديث.[١٢٢] وتبع ذلك الإصدار ما نشرته سميرة خاشقجي عام ١٩٦٩ كثاني مجموعة للقصة القصيرة النسائية في المملكة العربية السعودية بعنوان وتمضي الأيام، بينما خيرية السقاف الثالثة في ذلك بنشر مجموعتها القصصية وأن تُبحر نحو الأبعاد عام ١٩٨٢. وذكر العوين أن أول كاتبة سعودية قرأت أعمالها بالاشتراك مع بعض الكتاب الآخرين عبر شبكة اتصال تلفزيوني هي شريفة

الشملان في أبريل من عام ١٩٨١.[١٢٣]

والروائيات السعوديات الأوائل تعلمن وكتبن رواياتهن خارج الوطن مثل: سميرة خاشقجي وهدى الرشيد، ونشطن في الفكر والثقافة وكتابة الرواية التي تعد واحدة من الأجناس الأدبية الحديثة، وهو الأمر الذي يعكس الحقيقة القائلة بأن المرأة السعودية قد حققت تقدما في التطور ومعرفة الحياة الثقافية الجديدة داخل مجتمعها المحافظ في صورته الكلية، وإن كانت منطلقة من الخارج.

٥,١ الخلاصة

ظهرت بعض المواقف والاتجاهات حول رواية المرأة في السعودية اتسمت بالتغيير البطيء في الرؤية، ولسوء الحظ فإن تأثير بعض العادات والتقاليد العربية السلبية تجاه المرأة والباقية حتى الآن في المجتمع كان لها دور في تأخر ظهور أدب المرأة. وهناك بعض التفسيرات والمواقف الدينية عملت على تحجيم المرأة. ومنذ كتابة الرواية الأولى لسميرة خاشقجي ١٩٦٠، وجدت الرواية النسائية السعودية بذرة شجرتها بين الأعمال الأدبية السعودية في الرواية. ومع ازدياد الأعداد ظهر أنه من المهم إفراد الروايات النسائية بشكل مستقل لغرض تقويم الشكل والأسلوب الفني والخطاب مع الإيمان بفكرة الأدب النسائي.

والرواية جنس أدبي مرتبط بالمدنية، وتتميز عن الشعر في ذلك. ونمت الرواية النسائية منذ الثمانينيات صعودا إلى التسعينيات إلا أن الأعمال النسائية لم يُلتفت إليها كظاهرة ثقافية مستقلة طوال تلك الحقبة. والرواية النسائية في السعودية ترتبط ارتباطا وثيقا بتطور المجتمع العصري المتسامح، والكتابة النسائية خاصة الرواية تظهر حين يتاح للمرأة مزيدا من الفرص، ويكون لها بُعدا متساويا مع الرجل. ويعد التعليم العامل

الأكثر أهمية من أجل زيادة الوعي لدى السيدات، ويُنهي عزلتهن وصمتهن داخل أي مجتمع.

والسعودية بوصفها بلدا متطورا، تتخذ خطواتها نحو العصرية والمدنية، فإنها تتنامى ببطء مع مواجهت العديد من المشكلات نتيجة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية، وهوية وثقافة المجتمع السعودي كغيره ليست واحدة، بل تختلف من منطقة إلى أخرى ومن جيل إلى آخر. لقد أخفقت بعض الاتجاهات الدينية في أن تأخذ التغيرات الحديثة من أساليب الحياة العصرية المعيشية التي جلبتها العولمة، ولكنها أيضا نجحت في التأقلم والتقدم، مع الإشارة إلى أن الحكومة بحاجة إلى تنظيم أكثر، وجعل الآراء والاتجاهات غير العقلانية من دينية وغيرها داخل قالب تنظيمي يخضع للتطوير من خلال أطر تعليمية وقانونية.

لقد تطور وضع المرأة مع السياقات الثقافية منذ السبعينيات مرورا بالثمانينيات بشهادة الرواية، وعقب انتهاء حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، فإن عصر ثورة ارتقاء الرواية بوصفها جنسا أدبيا جديدا ظهر باختياره خطابا للثقافة الجديدة، وقد أخذ موقعه بين الجنسين، وهو أفضل صورة تعكس المتطلبات والاحتياجات بالمجتمع والاتجاهات داخل المناخ الجديد. ومنذ تلك الحقبة الزمنية، والتزايد في نشر الرواية النسائية خلق مجالا ومكانة للمرأة في الأدب السعودي، وهكذا، فإن المنظور نحو المرأة من خلال أعمالها الأدبية النسائية قد تطور داخل المجتمع.